الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 8ماي 1945 قالمة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التـــــاريخ

تخصص: تاريخ وحضارة المشرق الاسلامي

عنوان المذكرة

دور الحركة الصوفية في الحياة الاجتماعية في المشرق الإسلامي ق7هـ/13م

مذكرة مكملـــــة لنيل شهـــــادة الماستر

من إعداد:

- عمرون ريان.
- سعداوي سارة.

تحت اشراف:

– أ. د يوسف أحلام

لجنة المناقشة

الأستاذ(ة)	الدرجة العلمية	الصفة	الجامعة
أ.د كمال بن مارس	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
أ.د يوسف أحلام	أستاذ محاضر -ب-	مؤطرا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
أ.د أولاد ضياف رابح	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة

السنة الجامعية:

1443-1442هـ/2022-2021م

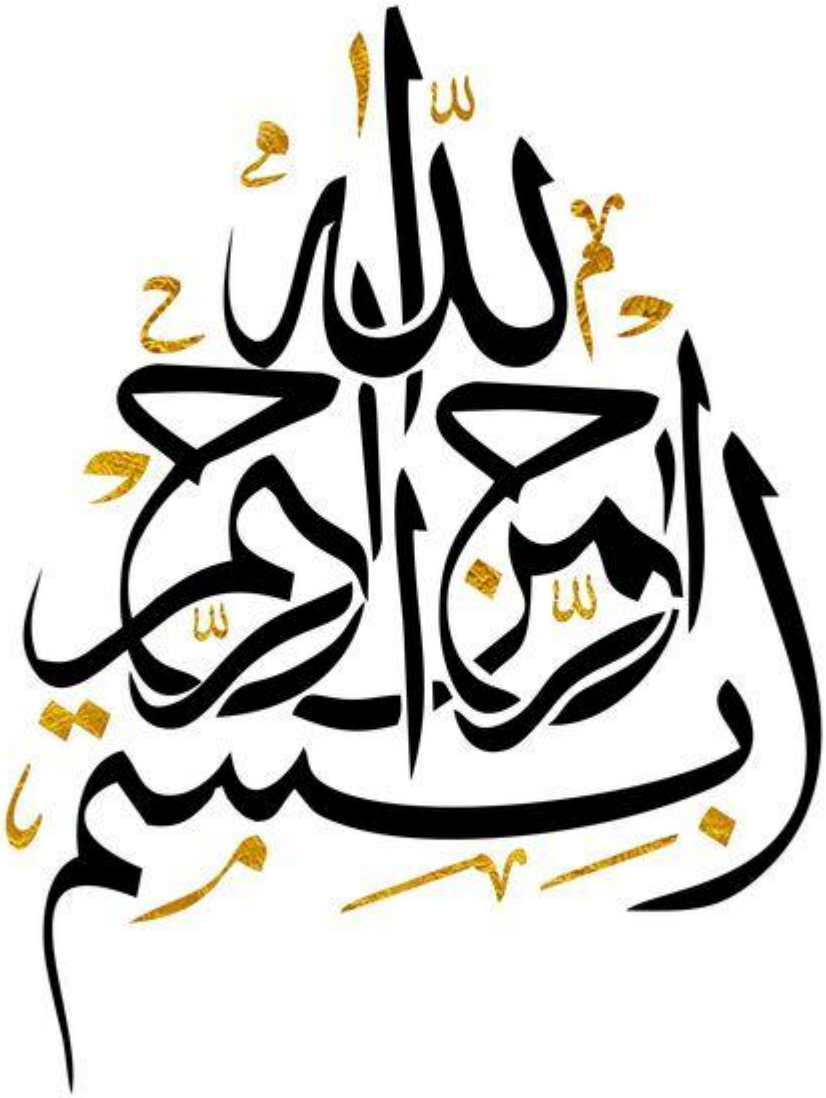
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قال الله تعالى بعد بسم الله الرحمن الرحيم " ولئن شكرتم لأزيدنكم".

فالحمد لله عز وجل الذي وفقنا على إتمام هذه المذكرة والذي أنعمنا بالصحة والعافية والعزيمة، فالحمد لله حمدا كثيرا، ونسأله مزيدا من النجاح والتوفيق في نجاحات مقبلة بإذنه تعالى.

ثم نتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى الأستاذة المشرفة "يوسف أحلام" على كل ما قدمته من توجيهات ومعلومات قيمة ساهمت في إثراء موضوع دراستنا في جوانبها المختلفة.

كما نوجه الشكر المسبق إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة على سعيهم وصبرهم لقراءة وتقييم هذا العمل، دون نسيان أساتذتي الكرام الذين تأطرنا على أيديهم طيلة المشوار الجامعي.

ولا يسعني في الأخير إلا أن أسأل الله الأجر والثواب.

إهداء

بعد الحمد لله عزوجل الذي أنار لي طريقي وكان لي خير عون لإنهاء هذا العمل الذي يمثل ثمرة جهدي الدراسي.

أهدي ثمرة عملي هذا إلى أغلى ما أملك في هذه الدنيا ، إلى من كان دعائها سر نجاحي "أمي الغالية" .

إلى من منحني دعمه وصبر معي، إلى من تعب وضحى من أجل وصولي إلى هاته المرحلة "أبي الغالي" .

إلى إخوتي وأحبتي وكل من ساندني بمحبته ورفع معنوياتي لإكمال هذا العمل.

إلى كل من كان له دور من قريب أو من بعيد في نجاحاتي.

"إليكم جميعا أهدي هذا العمل المتواضع" .

أسأل الله عزوجل أن يوفقنا لما فيه الخير لنا .

إهداء

الصلاة على من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة إلى نبي الرحمة ونور العالمين محمد صلى الله عليه وسلم

إلى من شجعني على المثابرة طوال حياتي.... أمي

إلى التي الجنة تحت أقدامها ، إلى القلب المعطاء..... أمي

إلى من كانوا دوما سندا لي.... إخوتي

إلى كل من عرفتهم في حياتي.... أسرتي، أصدقائي، زملائي في مقاعد الدراسة

إلى كل من ساهم بتعليمي ولو حرف في حياتي الدراسية

وأخيرا لا يفوتني أن أعبر عن بالغ تحياتي إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا البحث المتواضع.

سارة

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
شكر وعرفان.	
إهداء.	
فهرس المحتويات.	
مقدمة.	**أ-ز**
الفصل الأول: ماهية التصوف الإسلامي.	**34-9**
المبحث الأول: تعريف التصوف الإسلامي.	16-9
المبحث الثاني: نشأة التصوف الإسلامي وتطوره.	23-17
المبحث الثالث: مصادر التصوف الإسلامي.	34-24
الفصل الثاني: أوضاع المشرق الإسلامي خلال القرن 7هـ/13م.	**65-36**
المبحث الأول: الغزو الصليبي ونتائجه.	42-36
المبحث الثاني: الغزو المغولي ونتائجه.	50-43
المبحث الثالث: الكوارث الطبيعية ونتائجها.	65-51
الفصل الثالث: الدور الاجتماعي للحركة الصوفية في المشرق الإسلامي خلال القرن 7هـ/13م.	**85-67**
المبحث الأول: مكانة الصوفية في المجتمع ودورهم في نشر الوعي.	72-67

المبحث الثاني: دور الصوفية في إصلاح المجتمع.	81-73
المبحث الثالث: دور الأماكن التي يمارس بها الصوفية نشاطهم.	85-82
خاتمة.	**88-87**
قائمة المصادر والمراجع.	**103-90**
الملخص.	

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الصادق الوعد الأمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن سار على هديه إلى يوم الدين.

يعد التصوف أحد التيارات الفكرية التي انتشرت في القرن الثاني هجري/الثامن ميلادي في العالم الإسلامي، حيث جاء مقترنا بفكرة الزهد والتحرر من حب الدنيا وزينتها بشدة العبادة ليصبح ظاهرة إسلامية أصلية ومذهبا منظما أثناء الجزء الأخير من القرن الثالث هجري/التاسع ميلادي، وقد ظهرت الحركة الصوفية وزاد انتشارها نتيجة الأزمات التي تعرض لها مجتمع المشرق الإسلامي خلال القرن السابع هجري/ الثالث عشر ميلادي، والمتمثلة في الحروب الصليبية والاجتياح المغولي التي كانا لهما دورا كبيرا في ظهور ظاهرة التصوف وإنتشارها، كما لا يمكن الإغفال ما كان للكوارث الطبيعية من إنعكاسات أدت إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ذلك ما شجع الانخراط في صفوف المتصوفة لقيامهم بعدة إصلاحات ومساعدات اجتماعية لتطهير المجتمع من الانحرافات والفساد الأخلاقي.

1-أهمية الموضوع:

تظهر أهمية هذا الموضوع نتيجة الأثر العميق الذي أحدثته الإصلاحات الصوفية في مختلف المجالات، فهو من الموضوعات المهمة التي تستدعي الاهتمام بها أكثر والبحث فيها وذلك لإبراز أهم الإصلاحات الاجتماعية للمتصوفة خلال القرن 7هـ/ 13م.

2-أسباب اختيار الموضوع:

كان لاختيار هذا الموضوع جملة من الأسباب ذاتية وأخرى موضوعية، نوجزها فيما يلي:

- ✓ تماشي الموضوع مع طبيعة التخصص.
- ✓ الرغبة في معرفة الدور الاجتماعي للحركة الصوفية في المشرق الإسلامي خلال القرن 7هـ/13م.
- ✓ ندرة الدراسات التي اهتمت بالموضوع بالرغم من أهميته.

- ✓ معرفة الأثر الكبير الذي تركته الحروب المدمرة والكوارث الطبيعية التي أثرت على بلاد المشرق الإسلامي.

3-إشكالية الدراسة:

على ضوء ما سبق ومن أجل الإحاطة والإلمام بالموضوع يمكن لنا طرح التساؤل الجوهري التالي:

- ❖ ما هو الدور الذي لعبته الحركة الصوفية في الحياة الاجتماعية في المشرق الإسلامي خلال القرن 7هـ/13م؟

وهذا السؤال الرئيسي يدفعنا لطرح الأسئلة الفرعية التالية:

- ✓ ما المقصود بالتصوف الإسلامي وما هي مصادره؟
- ✓ ما هي الأسباب التي أدت إلى ظهور الحركة الصوفية في المشرق الإسلامي؟
- ✓ فيما تمثلت الإصلاحات الاجتماعية التي انتهجها المتصوفون في المشرق الإسلامي خلال القرن 7هـ/ 13م؟

4-منهج الدراسة:

لقد اعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع على المنهج التاريخي الوصفي نظرا لملائمته مع طبيعة موضوع البحث، من خلال الاطلاع على المراجع المتخصصة من كتب ومجلات ومقالات، كما إستعنا ببعض الرسائل العلمية والتي كان لها فائدة في هذا الموضوع.

5-حدود الدراسة:

تناولت الدراسة الحدود التالية:

- **الحدود الموضوعية:** تناولت الجانب الاجتماعي للحركة الصوفية في المشرق الإسلامي.
- **الحدود الزمنية:** انحصرت فترة بحثنا خلال القرن 7هـ/13م، أي ما بين سنة 1205م إلى غاية 1299م.
- **الحدود المكانية:** أما الإطار المكاني فيشمل أماكن المشرق الإسلامي والتي تضم بلاد ما وراء النهر وبغداد وبلاد الشام.

6-الدراسات السابقة:

بعد قيامنا بعملية البحث لم نجد دراسات سابقة تطرقت إلى موضوعنا دور الحركة الصوفية في الحياة الاجتماعية في المشرق الإسلامي القرن 7هـ/13م، إلا أننا وجدنا رسالة ماجستير قد درست موضوع بحثنا كجانب ثانوي فيها والتي كانت تحت عنوان الحركة الصوفية وأثرها في المشرق الإسلامي لمزياني فتيحة.

7-خطة الدراسة:

للإلمام بجميع جوانب موضوع البحث وللإجابة على التساؤلات المطروحة قمنا بتقسيم بحثنا الى الفصول الثلاثة التالية:

- **الفصل الأول:** الذي جاء بعنوان ماهية التصوف الإسلامي، حيث قسم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث تناولنا في المبحث الأول تعريف التصوف الإسلامي، وفي المبحث الثاني تطرقنا إلى نشأة التصوف

الإسلامي ومراحل تطوره، وأما المبحث الثالث تحدثنا عن المصادر الداخلية والخارجية للتصوف الإسلامي.

– أما **الفصل الثاني**: الذي كان تحت عنوان أسباب ظهور التصوف في المشرق الإسلامي في 7هـ/13م، حيث قسم هذا الفصل بدوره إلى ثلاثة مباحث تحدثنا فيها عن الحروب الصليبية والاجتياح المغولي بالإضافة إلى الكوارث الطبيعية، مسلطين الضوء على نتائج هذه الأوضاع التي أدت إلى ظهور الحركة الصوفية.

– أما فيما يتعلق **بالفصل الثالث والأخير**: فقد عنون بالدور الاجتماعي للحركة الصوفية في المشرق الإسلامي خلال القرن 7هـ/13م، حيث أفردناه لإبراز دور الصوفية في إصلاح المجتمع في فترة الدراسة، من خلال معالجة دورهم في نشر الوعي، بالإضافة إلى دور الأماكن التي يمارسون فيها نشاطهم.

ثم ختمنا بحثنا بمجموعة من النتائج التي توصلنا إليها خلال دراسة هذا الموضوع، بالإضافة إلى مجموعة من الملاحق والفهرس وقائمة المصادر والمراجع المعتمد عليها.

8–صعوبات الدراسة:

تحملنا أثناء إنجازنا لهذه الدراسة لجملة من الصعوبات والعراقيل التي لم تكن أبدا حائلا أمام تقدمنا وتحقيق هدفنا، بل كانت دافعا قويا لإتمام هذه الدراسة ومن هذه الصعوبات:

- ✓ صعوبة الحصول على المصادر التي تحدثت عن موضوعنا في الفترة الزمنية المحددة.
- ✓ عدم وجود المعلومات بطريقة مباشرة حيث وجب علينا التنقيب بين ثنايا المصادر ما تطلب منا جهدا ووقتا كبيرين.

9-عرض المصادر والمراجع المعتمدة:

اعتمدنا في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع الهامة، والتي تفاوتت في إفادتنا وتمايزت في أهميتها حسب علاقتها بالموضوع، ومن أبرز المصادر والمراجع التي كانت عونا في هذه الدراسة نذكر:

- **أولا: المصادر العربية.**

عندما يتعلق الأمر بالتاريخ الإسلامي تبرز أهمية المصادر العربية كونها مصادر عديدة ومتنوعة، حيث لا يمكن للباحث أن يستغني عنها في مثل هذه الدراسات.

-الرسالة القشيرية في علم التصوف: للقشيري والذي تعتبر من المصادر الرئيسية، كونها تشمل العديد من التعريفات التي وردت على التصوف والمتصوفة.

الكامل في التاريخ: لصاحبه ابن الأثير (ت630هـ/1233م) حيث استفدنا منه كونه يحتوي على معلومات دقيقة للأحداث التي عاصرها، ويعتبر من المصادر المهمة التي تناولت الأحداث التاريخية.

-سير أعلام النبلاء: للذهبي (ت748هـ/1374م) وهو من أكبر الموسوعات التاريخية، وقد اعتمدنا عليه في معظم فصول الدراسة، لأنها تناولت حقبة زمنية طويلة، بالإضافة إلى ثراءه بمعلومات شاملة لجميع طبقات الشعب من مسلمين وغير مسلمين.

-السلوك لمعرفة دول الملوك: لصاحبه المقريزي (ت845هـ/1442م) والذي استفدنا منه كثيرا لدقة معلوماته ووضوح عباراته وكذا شموليته، حيث أفادنا في معظم دراستنا للكوارث الواقعة في البلاد الإسلامية خلال القرن 7هـ/13م.

-كتب الرحالة والجغرافيين:

كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: للرحالة المقدسي (ت380هـ/990م) والذي أفادني بثرائه في كل ما يتعلق بجغرافية المدن الإسلامية.

معجم البلدان: لياقوت الحموي والذي مكننا من التعرف على العديد من مناطق المشرق الإسلامي وضبط حدودها وجغرافيتها، بالإضافة إلى ترجمة بعض الشخصيات.

- **ثانيا: المراجع العربية.**

كثير منهم تحدثوا عن الشرق الإسلامي بشيء من الإيجاز، وفي سياق حديثهم عن الدول المستقلة وأهمها:

كتاب الدول المستقلة في المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي: لعصام الدين عبد الرؤوف الفقي، حيث تطرق في كتابه للدول الإسلامية التي غزاها المغول من بلاد ما وراء النهر وغيرها.

موسوعة المدن العربية الإسلامية: لصاحبه يحي الشامي، والذي ساعدني كثيرا لاحتوائه على تعريفات مدن وأقاليم المشرق الإسلامي.

كتاب الحياة الاجتماعية في بغداد في العصر العباسي الأخير (575-656هـ/1179-1258م): لمحمد عبد الله القدحات وهو عبارة عن كتاب تاريخي كبير، والذي مكنني في معرفة أثر الأوضاع الاجتماعية على المجتمع البغدادي، وكذلك كيفية تأثير الصوفيين على حياة الناس.

- **ثالثا: المراجع المعربة.**

والمتمثلة في مختلف المراجع المترجمة من الفارسية والإنجليزية وغيرها، ومن أهمها:

كتاب في التصوف الإسلامي وتاريخه: لصاحبه رينولد ألين نيكولسون، والتي اعتمدت فيه على ترجمته العربية التي قام بها أبو العلا عفيفي، حيث أفادني هذا الكتاب كثيرا لاحتوائه على تعريفات عديدة للتصوف، بالإضافة إلى مراحل تطور التصوف الإسلامي.

الفصل الأول

المبحث الأول: تعريف التصوف الإسلامي:

اشتهر العالم الإسلامي بظاهرة التصوف حيث أثارت هذه الأخيرة الكثير من الجدل وأسالت الكثير من الحبر عند جمع المؤرخين والباحثين، خاصة فيما يتعلق بالمصدر الذي اشتقت منه هذه الكلمة والذي لم يعرف بعد من قبل الباحثين سواء من الصوفية أو من غيرهم، وبالتالي قبل تعريف التصوف لغة واصطلاحا، لا بد من التعرف على المصدر الذي اشتقت منه كلمة "التصوف" أو كلمة "صوفي"، فقد وردت عدة احتمالات لتحديد المصدر الذي قد تكون مشتقة منه، ويمكن تلخيصها في الاحتمالات التالية:

*الاحتمال الأول: النسبة إلى الصفاء:

هو أن تكون كلمة "التصوف" منسوبة إلى الصفاء، باعتبار أن الصوفي هو الذي صفا قلبه وطهر وجدانه[1]، فالصوفي مأخوذ من الصفاء وهو القيام لله عز وجل في كل وقت بشرط الوفاء[2]، أما الكلاباذي[3] فذكر أنه: "من صفوة سره وطهارة قلبه ونور صدره... فلصفاء أسرارهم وشرح صدورهم وضياء قلوبهم..."، لكن زكي مبارك[4] عبر عن نسبة التصوف إلى الصفاء بأن ذلك ليس إلا حذلقة[5] من بعض الصوفية.

*الاحتمال الثاني: النسبة إلى أهل الصفة:

وهم الذين كانوا يقعدون في مؤخرة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن أهل الصفة أنفسهم جاء ذكرهم في الحديث الشريف وهم نحو تسعين نفرا من فقراء المهاجرين –وهم المسلمون الأولون من أهل مكة الذين هاجروا من مكة إلى المدينة–وممن لم يكن له منهم منزل يسكنه، كانوا يبيتون في مسجد رسول الله صلى الله عليه

---

[1]– محمد كمال إبراهيم جعفر، التصوف طريقا وتجربة ومذهبا، دار الكتب الجامعية، 1970م، ص2.

[2]– رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة لبنان، ط1، بيروت، 1999م، ص553.

[3]– الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، تصحيح واهتمام: أرثرجون أربري، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت)، ص7،8.

[4]– زكي مبارك، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، مطبعة الرسالة، ط1، 1357هـ/1938م، ج1، ص65.

[5]– حذلقة: أظهر الحذق، أو ادعى أكثر مما عنده، يقال: "إنه يتحذلق في كلامه" أي يتظرف ويتكيس. **انظر**: لويس معلوف، المنجد في اللغة والأدب والعلوم، المطبعة الكاثوليكية، ط19، بيروت، (د.ت)، ص123.

وسلم... وكانوا يقلون تارة ويكثرون تارة –أي يغنون ويفتقرون–، وكانوا نحوا من أربعمائة رجل لم تكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر، فجمعوا أنفسهم في المسجد[1].

وحياة أهل الصفة هؤلاء كانت شديدة الشبه بحياة المتصوفين لملازمة الفقر والانقطاع إلى الله، كانوا يعيشون في الصفة لا يفكرون بأمر دنياهم، وكان الموسرون من المسلمين يوصلون إليهم ما استطاعوا من خير...[2] وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه[3] قوله: "كان أهل الصفة ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا منازل لهم، فكانوا ينامون على عهد رسول الله في المسجد ويظلون فيه ما لهم مأوى غيره، فكان رسول الله يدعوهم إليه بالليل إذا تعشى فيفرقهم على أصحابه، وتتعشى طائفة منهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم".

أما ابن الجوزي فقد نفي نسبة الصوفي إلى أهل الصفة، فحسبه لو كان كذلك لقيل: صُفي[4].

***الاحتمال الثالث: النسبة إلى الصف الأول:**

باعتبار أن الصوفية يقفون في الصف الأول بين يدي الله، لارتفاع همومهم إليه وتقربهم إليه ووقوفهم بسرائرهم بين يديه، فهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث حضورهم مع الله تعالى وتسابقهم في سائر الطاعات، فهم يحافظون على الصلوات في جميع أوقاتها ويأتون مبكرين إلى المساجد ليتمكنوا من الجلوس في الصف الأول، وقد رووا أن بشر بن الحسن لزم الصلاة في الصف الأول خمسين سنة، وسمي من أجل ذلك "الصفي"، ولكن اللغة لا تؤيد مثل هذه الصفة[5].

[1]– عمر فروخ، التصوف في الإسلام، مكتبة منيمنة، ط1، بيروت، 1366هـ/1947م، ص21.

[2]– المرجع نفسه، ص21،22.

[3]– عبد المنعم صالح العلي العزي، دفاع عن أبي هريرة، دار القلم، ط2، بيروت، 1981م، ص35،36.

[4]– ابن الجوزي، تلبيس إبليس، تح: أحمد بن عثمان المزيد، دار الوطن للنشر، 1422هـ، ج1، ص201.

[5]– عفاف مصباح بلق، التصوف الإسلامي (مفهومه–نشأته وتطوره–مصادره)، مجلة كليات التربية–كلية الشريعة والقانون/العجيلات–جامعة الزاوية، ع14، 2019م، ص194.

***الاحتمال الرابع: النسبة إلى سوفيا اليونانية:**

استدل نسب الصوفية إلى سوفيا إنطلاقا من ربط كلمة "سوفوس" اليونانية التي تعني الحكمة بالعربية بمصطلح "صوفية" أو "صوفي"، كون أن الصاد في العربية يكتب سينا في اليونانية[1]، ودعم القائلون بذلك إلى أن القوم كانوا طالبين الحكمة حريصين عليها، لذلك أطلقت عليهم كلمة الحكمة التي عربت وحرفت لتصبح صوفية أو صوفي، لكن كلمة سوفيا الدالة على الحكمة مستبعدة لأنها تحيل على العقل والمنطق وتتناقض مع العرفان الروحي والوجدان، كما أن التصوف بعيد عن كل اعتماد عقلي وذهني لأنه مرتبط بالحدس العرفاني والتجربة الباطنية[2].

***الاحتمال الخامس: النسبة إلى صوفانة:**

وتطلق أيضا على بقلة زغباء[3] قصيرة، فهذه النبتة قصيرة لا تحتاج إلى رعاية وعناية، كذلك الصوفية يعيشون حالة التقشف والزهد في الأكل والشرب، حيث نسبوا إليها لاكتفائهم بنبات الصحراء، وهذا أيضا لا يصح لغويا لأنه لو نسبوا إليها لقيل للواحد منهم "صوفاني"[4].

***الاحتمال السادس: النسبة إلى رجل يقال له صوفة:**

واسمه الغوث بن مر، وإنما سمي صوفة لأن أمه نذرت إن عاش لتعلقن برأسه صوفة ولتجعلنه ربيط الكعبة، فكان أول من تفرد بخدمة بيت الله الحرام وانتسب إليه قوم في الجاهلية فسموا "صوفية" وقد انقطعوا إلى الله عز وجل وقطنوا الكعبة، فمن تشبه بهم فهم "الصوفية"[5].

---

[1]- ماسينيون ومصطفى عبد الرازق، التصوف، تر: إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني، ط1، لبنان، 1984م، ص26.

[2]- كلوشي مصطفى، البعد السياسي للحركات الصوفية، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الدكتور يحي فارس المدية-الجزائر، (د.ع)، 2020م، ص535.

[3]- بقلة زغباء: وهي فطر من فصيلة السميات يستخرج منه الصوفان واسمه علميا polyporus igniarius. **انظر**: ياسين عبد الرحيم، موسوعة العامية السورية، الهيئة العامة السورية للكتاب، ط2، دمشق، 2012م، ج1، ص1463.

[4]- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مرا: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، 1429هـ/2008م، ص957.

[5]- أبو عبد العزيز إدريس محمود إدريس، مظاهر الإنحرافات العقدية عند الصوفي وأثرها السيء على الأمة الإسلامية، مكتبة الرشد، ط2، الرياض، مج1، 1426هـ/2005م، ص26.

ونفهم من هذه النسبة بأن المتصوفة ينتسبون إلى أناس من أهل الجاهلية لم يعرفوا الإسلام، وإذا صحت مثل هذه النسبة فإن القوم قد حكموا على أنفسهم بأنهم ينتسبون إلى أقوام في الجاهلية[1]، لكن هذا الاشتقاق مستبعد.

***الاحتمال السابع: النسبة إلى الصوف:**

إن أقدم الأقوال وأصحها ذلك القول الذي يرى أن سبب التسمية للمتصوفة بهذا الاسم "الصوفية" أنهم منسوبون إلى "الصوف"، وهذا ما اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ومعه جماعة كبيرة من العلماء[2]، ومما يمكن أن يستدل به لهذا الرأي إذا ما أحسنا الظن تاريخيا بالبدايات المتقدمة التي كان عليها بعض القوم مقتصرين في حياتهم على الزهد والتقشف ولبس الصوف[3]، هو ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه حين قال: "لقد سلك فج الروحاء سبعون نبيا حجاجا عليهم ثياب الصوف، ولقد صلى في مسجد الخيف سبعون نبيا"[4].

ويبدو لنا أن ربط التصوف بالصوف ربط مقبول لأنه يلائم ويناسب من حيث الاشتقاق، وهو الرأي الذي قال به ابن خلدون[5]، حيث يقول: "قال القشيري رحمه الله ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس، والظاهر أنه لقب، ومن قال اشتقاقه من الصفاء أو من الصفة فبعيد من جهة القياس اللغوي، قال: وكذلك من الصوف لأنهم لم يختصوا بلبسه، قلت: والأظهر إن قيل بالاشتقاق أنه من الصوف، وهم في الغالب مختصون بلبسه لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف".

ولباس الصوف كان دأب الأنبياء عليهم السلام، وشعار العباد والزهاد والمساكين، والتصوف مبني على صفات الأنبياء، من بين هذه الصفات الفقر مأخوذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. أما لباس الصوف مأخوذ

---

[1]– أبو عبد العزيز إدريس محمود إدريس، المرجع السابق، ص26.

[2]– ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمان بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، مج11، 1425هـ/2004م، ص8.

[3]– صابر طعيمة، الصوفية معتقدا ومسلكا، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، ط1، الرياض، 1405هـ/1985م، ص20.

[4]– النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، دار المعرفة، بيروت، (د.ت)، ج2، ص598.

[5]– ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح: محمد الشامي، شركة دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2016م، ج1، ص555.

عن سيدنا موسى عليه السلام[1]، وفي هذا السياق يقول الحسن البصري رضي الله عنه[2]: "لقد أدركت سبعين بدريا أكثر لباسهم الصوف"، فالصوفي كما قال أحد أئمة الصوفية: "من لبس الصوف على الصفاء، وأطعم الهوى ذوق الجفاء، وكانت الدنيا منه على القفا، وسلك منهاج المصطفى"[3].

فقد جاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلبس الصوف ويركب الحمار، وعنه صلى الله عليه وسلم[4] أنه قال: "لقد مر بالصخرة من الروحاء سبعون نبيا حفاة عليهم العباء يؤمنون البيت العتيق"، وعنه صلى الله عليه وسلم[5] قال: "يوم كلم الله تعالى موسى عليه السلام كان عليه جبة صوف، وكساء صوف، وسراويل صوف، وكمة صوف"، وقيل أن عيسى عليه السلام كان يلبس الصوف والشعر ويأكل من الشجر ويبيت حيث أمسى، وهذا الكلام صريح في أنه كان مفهوما أن الأنبياء والصالحين كانوا يؤثرون لبس الصوف[6].

وقد سار الكثير من الباحثين المعاصرين في هذا الاتجاه، من بينهم أحمد أمين[7] والذي جاء في كتابه "ظهر الإسلام" يقول: "وقد اختلف الناس في نسبة الكلمة هل هي من الصفة، أو من الصفاء، أو من سوفيا وهي باليونانية بمعنى الحكمة، أو من الصوف، في حين أنه يرجح أنها نسبة إلى الصوف لأنهم في أول أمرهم كانت هذه الفرقة تلبس الصوف إخشيشانا وزهادة".

وانطلاقا من القول السابق فإن اشتقاق كلمة "صوفي" هو من الصوف، حيث يقال تصوف الرجل إذا لبس الصوف، كما يقال تقمص الرجل إذا لبس قميص، وهو رأي العديد من المستشرقين كنيكلسون وماسينيون ونولدكه[8].

---

[1]- كلوشي مصطفى، المرجع السابق، ص535.

[2]- أبي نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر، بيروت، 1416هـ/1996م، ج2، ص134.

[3]- رفيق العجم، المرجع السابق، ص553.

[4]- ابن حجر العسقلاني الشافعي، تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، تع واعتناء: أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب، مؤسسة قرطبة، ط1، قرطبة، 1416هـ/1995م، ج2، ص463.

[5]- السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ط1، القاهرة، 1424هـ/2003م، ج6، ص543.

[6]- زكي مبارك، المرجع السابق، ج1، ص54.

[7]- أحمد أمين، ظهر الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (د.ت)، ص839.

[8]- كلوشي مصطفى، المرجع السابق، ص536.

ولكن في المقابل قد أنكر القشيري هذا الاشتقاق، وفي هذا الصدد يقول: "بأن القوم لم يختصوا بلبس الصوف"[1]، لأن ذلك ينفي عن الصوفيين التمسك بالحكمة الإلهية وينسبهم إلى الظاهر، حيث بعدوا عن الرفاهية والراحة الجسمية رغم أن الإسلام لم يأمر بتعذيب الجسد ولا بلباس معين، بل الإسلام أباح لنا أن نأكل من الطيبات[2]، فقال تعالى[3]: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}**، وقال أيضا[4]: **{يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}**.

أ-تعريف التصوف لغة:

لقد ورد مفهوم التصوف في معاجم اللغة تحت مادة (صوف) على عدة معان منها إطلاق كلمة (صوف) على الصوف المعروف من شعر الحيوانات، قال تعالى[5]: **{وَمِنْ أَصْوافِها وأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِها أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِين}**.

-صوف: الصاد والواو والفاء أصل واحد صحيح، وهو الصوف المعروف، يقال كبش أَصْوَفُ وصَوِفٌ وصَائِفٌ وصَافٌ، كل هذا أن يكون كثير الصُّوف، ويقولون: أخذ بصوفةِ قفاه، إذا أخَذَ بالشَّعَر السّائلِ في نُقْرته[6].

-وصُوفةُ: قومٌ كانوا في الجاهلية كانوا يخدمون الكعبة، ويُجِيزون الحاجَّ. وحُكِى عن أبي عُبيدةَ أنهم أفناء القبائل تجمعوا فتشبَّكُوا كما يتشبَّك الصُّوف[7].

[1]- القشيري، الرسالة القشيرية في علم التصوف، تح: معروف مصطفى زريق، شركة أبناء شريف أنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1421هـ/2001م، ص279.

[2]- أبو عبد العزيز إدريس محمود إدريس، المرجع السابق، ص26.

[3]- سورة البقرة: آية 172.

[4]- سورة الأعراف: آية 31.

[5]- سورة النحل: آية 80.

[6]- أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د.ت)، ج3، ص322.

[7]- المصدر نفسه، ج3، ص322.

– صَاف صَوْفًا وصُؤُوفًا وصَوفَ يَصْوَف صَوَفًا الكبشُ: كثر صُوفُهُ، فهو أَصْوَف[1]، وتصوف الرجل وهو صوفي من قوم صوفية كلمة مولدة، وصاف السهم عن الهدف، يصوف ويصيف عدل[2].

–الصوفي: مركب من أربعة حروف: الصاد، والواو، والفاء، والياء، فالصاد صبره وصدقه وصفاؤه، والواو وجده ووده ووفاؤه، والفاء فقده وفقره وفناؤه، والياء ياء النسبة، إذا تكمل فيه ذلك أضيف إلى حضرته[3].

ب–اصطلاحا:

لقد اختلفت الآراء وتعددت في تعريفات التصوف كثيرا، حيث اجتهد الصوفيون في تقديم تعريف جامع له، حيث تناقضت وتعارضت تعريفاتهم، فمنهم من قدم تعريفات معقدة، ومنهم من قدمها بسيطة مبسطة.

–فقد ذكر القشيري في رسالته أكثر من خمسين تعريفا من الصوفية المتقدمين[4]، كما ذكر المستشرق نيكلسون ثمانية وسبعين تعريفا[5]، وذكر السراج في لمعه أن تعريفاته تتجاوز مائة تعريف[6].

–فيعرف التصوف على أنه العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والابتعاد عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيها، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة[7].

–كما يمكن تعريفه على أنه تنقية القلب من كل الأخطاء وترفع النفس للأعلى سمات الخلق وقوة الذات والتنزه عن الصفات البشرية التي يغلب عليها إتباع ملذات الدنيا، حيث تقود النفس لاكتساب صفات روحية والتعلق بعلوم الحقيقة وإتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في الشريعة[8].

---

[1]– لويس معلوف، المرجع السابق، ص440.

[2]– الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، مطبعة الأميرية، ط2، مصر، 1909م، ج1، ص539.

[3]– رفيق العجم، المرجع السابق، ص556.

[4]– القشيري، المصدر السابق، ص280.

[5]– رينولد.ا.نيكولسون، في التصوف الإسلامي وتاريخه، تر وتع: أبو العلا عفيفي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1366هـ/1947م، ص28.

[6]– الطوسي، اللمع، تح: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، 1380هـ/1960م، ص47.

[7]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص555.

[8]– رفيق العجم، المرجع السابق، ص557.

-وبالتالي يمكن القول أن التصوف في حقيقته إيثار وتضحية، تضحية باللذائذ والشهوات وإيثار لما يبقى على ما يفنى، تضحية بالعاجل وإيثار للآجل، مجاهدة للنفس ومعالجة لأهوائها[1].

ومن خلال التعريفات السابقة نلاحظ أن هناك اختلاف في التعريف الاصطلاحي للتصوف، فليس هناك تعريف واحد متفق عليه لهذا المفهوم، ويعود السبب في ذلك أن هذه التعريفات هي تعريفات شخصية فردية مختلفة تختلف من صوفي لآخر، حيث تبين لنا حال الصوفي في لحظة اتصاله وعلاقته مع الله.

[1]- محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب في التراث الصوفي، مكتبة غريب، الفجالة، (د.ت)، ص33.

المبحث الثاني: نشأة التصوف الإسلامي ومراحل تطوره:

يعتبر التصوف وعلى مدار التاريخ تجربة روحية رافقت الانسان منذ أن وجد على سطح الأرض تمثلت في ترجمته لمجموعة من المشاعر والنفحات الجوهرية التي كانت تختلج صدره بمجرد أن يتأمل ويتدبر ويفكر في خالقه وخالق الكون من حوله تتولد عنده الرغبة في أن ينعزل عن الدنيا وملذاتها وتوطيد علاقة التواصل بينه وبين خالقه.

شقت هذه التجربة الروحية أو بالأحرى التصوف طريقه مع الكثير من الأديان السماوية والوضعية وحتى الفلسفات القديمة، اختلف في تسميته من دين لآخر النسك الرهبنة، الورع والزهد لنصل إلى مفهومه الإسلامي الذي يتعلق بالتصوف الجامع لمختلف الملفوظات السابقة الذكر[1].

1-نشأة التصوف الإسلامي:

إن أصل نشأة التصوف يربطها الكثير من الباحثين بحياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل وبعد نزول الوحي، فمشاعر الفطرة الإسلامية التي كانت تختلجه قبل نزول الوحي لقوله عز وجل[2]: **{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}**، أوصلته إلى درجة قلبية سالمة ومرتبة روحية عالية تمثلت في الزهد والتقشف والتأمل والانقطاع إدراكا لحقيقته وحياة منزهة في ظل أخلاق مثالية جسدها في العكوف والخشوع أناء الليل وأطراف النهار، وذلك بعد نزول الوحي ومعرفته مصدر تلك المشاعر والخصال الشريفة، لقد كانت حياة الرسول حافلة بالمعاني الروحية اقتدى به الصحابة ووجدت الصوفية فيها منبعا فياضا لهم[3]، إلى جانب العامل الديني الذي يعتبرونه عامل أساسي في نشأة التصوف الإسلامي وانتشاره، ونجد أيضا أسباب وعوامل سياسية واجتماعية تتمثل فيما شهده الإسلام المبكر من فوضى سياسية وفتن وحروب داخلية وما رفقها من قلق روحي ومظالم اجتماعية وتفاوت بين الناس وظهور فئة مترفة تجري وراء المتعة وتسرف في

---

[1]- معتوق جمال، بن فرحات فتيحة، بحوث في التغيير الاجتماعي ظاهرة التصوف الإسلامي فهم التجربة الصوفية، دار الكتاب الحديث، ط1، القاهرة، 2013م، ص42.

[2]- سورة الروم: آية 30.

[3]- ناجي حسين جودة، التصوف عند فلاسفة المغرب ابن خلدون نموذج، دار الهادي، ط1، بغداد، 1427هـ/2006م، ص25.

المجون[1]، فلجأ خواص المسلمين إلى النأي عن كل شيء فتعبدوا وأعرضوا عن الدنيا وزخرفها وزينتها وشهواتها والانفراد والعكوف على الذكر والاستغفار[2].

2-مراحل تطور التصوف الإسلامي:

مر التصوف في تاريخ المشرق الإسلامي بعدة مراحل ساهمت في تطوره:

المرحلة الأولى: الزهد:

لقد ظهرت بذور التصوف الأولى في نزعات الزهد القوية في العصر الأول من الإسلام ترجع العوامل الرئيسية في ظهور نزعة الزهد حسب جولد تسهير إلى عاملين هامين الأول المبالغة في الشعور بالخطيئة والثاني الرعب الذي استولى على قلوب المسلمين من عقاب الله وعذاب الآخرة[3]، فقد كانت الأمة الإسلامية آنذاك ينعمون بحياة قوامها الهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الحياة وزينتها والزهد فيما يقبل عليه عامة الناس من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة[4]، متمثلة في رسول الله وأصحابه وصحبة أصحابه من بعده فهذا أشرف ما كانوا يحرصون الحصول عليه هو شرف حمل لقب صاحب تابعي أصحاب الرسول[5]، حيث قال الطوسي: "أن سأله أحدا فقال: ما قيل لأحد من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم صوفي عرفنا إلا العباد والزهاد والسياحين والفقراء، فأجابه: الصحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لها حرمة فلا يجوز أن يعلق عليه اسم على أنه أشرف من الصحبة ألا إنهم أئمة الزَهاد والعُباد والمتوكلين والفقراء والراضين والصابرين والمخبتين"[6].

وعندما انتهى عهد الرسول والصحابة وحل القرن الثاني للإسلام عرف المجتمع الإسلامي تحولات كبيرة وشهد تغييرا سريعا في نمط معيشته وطريقة حياته التي لم تعد تشبه تلك التي كان عليها في عهد النبوة والخلافة

[1]- محمد بن الطيب، إسلام المتصوفة، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 2007م، ص17.

[2]- عبد الله حسين، التصوف والمتصوف، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2017م، ص30.

[3]- رينولد.ا.نيكولسون، في التصوف الإسلامي، ص2.

[4]- عبد الوهاب الشيخ حمد، مدرسة التفسير في بغداد في القرنين الهجريين الثالث والرابع، دار الكتب العلمية، 2013م، ص89.

[5]- عبد الله أمين، دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة، دار الحقيقة، ط2، بيروت، 1991م، ص378.

[6]- الطوسي، المصدر السابق، ص42.

الراشدة ويرجع العلماء سبب ذلك إلى الفتوحات الإسلامية واختلاط المسلمين بغيرهم من الأمم والشعوب من مختلف الأجناس والأديان فأقبلوا على الحياة الجديدة وما تزخر به من أنواع البذخ والترف وأصناف النعيم والرفاهية، وجنح الكثير منهم إلى مخالطة ما فيها من متع ولذات والتمتع بمختلف ألوان الشهوات فكان الانحراف عن تعاليم الإسلام وأخلاقه وتوجهه، مما دعا بعض أرباب الصوفية المصطبغة بالزهد إلى ضرورة الإقبال على الله بالعبودية وبالقلب والهمة في كل من البصرة والكوفة ومصر والشام ونيسابور من قبل جمع من خواص المسلمين[1]، أشهرهم الحسن البصري (ت110هـ/728م) يعتبره المتصوفة واحد منهم[2].

أطلقوا على أنفسهم أسماء مستحدثة مثل الزهاد العباد النساك، فقد انتهى أصحابه إلى وجوه من التعبد فيها تشدد وإفراط في كثرة البكاء حتى ضاقت دائرة الحلال عندهم فلم تنطبق إلا على القليل من الأشياء[3]، فكان بظهور رابعة العدوية (ت185هـ/801م) تطور فكري عظيم تجلى في الانتقال من عبادة الله خوفا منه إلى عبادته حبا فيه[4]، وصار هذا الزهد مقدمة لاتجاه ممهد لتطور الزهد إلى تصوف[5]، حيث عرف لفظ التصوف في أواخر القرن الثاني للهجرة وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله (ت241هـ/885م)، أبو سليمان الدراداني (ت215هـ/830م)، وقيل إن أول من بني دويرة للصوفية هو بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد المتوفي بعد الخمسين مائة للهجرة وهو من أصحاب الحسن البصري وكان ذلك في البصرة، وأن أول من عرف باسم الصوفي في المجتمع الإسلامي هو أبو هاشم الصوفي المتوفى قبل منتصف القرن الثاني الهجري، وأول لقب مفردا في النصف الثاني للهجرة إذا نعت به جابر بن حيان الكوفي[6].

---

[1]- محمد بن أحمد بن علي الجوير، جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري في الرد على الصوفية، مكتبة الرشد ناشرون، ط1، 1464هـ/2003م، ج1، ص153.

[2]- رينولد.ا.نيكولسون، في التصوف الإسلامي، ص3.

[3]- محمد بن أحمد بن علي الجوير، المرجع السابق، ص154.

[4]- أحمد محمد سالم تجلي الإله، جدلية الإلهي والإنساني في الثقافة الإسلامية، نيو بوك للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2019م، ص183.

[5]- محمد بن طيب، المرجع السابق، ص21.

[6]- محمد يوسف الشوبكي، مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي، مجلة الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية، ع2، غزة، 2002م، ص18.

المرحلة الثانية: التصوف السني:

إن الحديث عن التصوف السني هو الحديث بالضرورة عن المتصوفة الذين اتبعوا واحترموا قواعد الشرع الإسلامي المستمدة من كتاب الله وسنة نبيه ونهج الصحابة رضوان الله عليهم وخالفوا كل من خرج عنهم، حيث ظهر التصوف السني في المشرق الإسلامي بداية من القرن الثالث هجري/التاسع ميلادي وهو امتداد لتيار الزهد الذي كان يمارسه مجموعة من الزهاد خلال القرنين السابقين للإسلام، وأصبح لهم حركة منتظمة أطلق على أصحابها اسم "صوفية"، وبدأ هؤلاء يتكلمون في موضوعات استحدثت في ذلك العصر مثل المقامات والأحوال[1]، كما بدأ بالكلام في دراسة النفس الإنسانية وتصنيف قواها وتبيان آفاتها وأمراضها وطريقة الخلاص منهم لأن في هذه المرحلة من التصوف اتسمت بطابع أخلاقي هدفوا من خلالها بتهذيب النفس وتعويدها على الفضائل الأخلاقية[2].

ولعل أبرز أعمدة التصوف في هذه المرحلة هو الجنيد البغدادي[3] الملقب بسيد الطائفة[4]، وهو من المتصوفة الأوائل الذي هو من علماء أهل السنة والجماعة أسس تصوفه على قواعد الكتاب والسنة، ومن الأسباب التي جعلت الجنيد يتخذ هذا المنحنى من التصوف بسبب أنه تأثر بخبرة مشايخ عصره الذين جمعوا بين أصول الشريعة[5] والمجهدات[6]، أمثال الحارث المحاسبي (ت243هـ/857م) الذي يعد أول من خلط الكلام بالتصوف[7]، والسري السقطي (ت251هـ/856م) وهو أول من تكلم في بغداد في ترتيب المقامات وبسيط الأحوال[8]، كما تأثر بآراء ذي النون المصري (ت245هـ/859م) وغيرهم من متصوفة عصره.

---

[1]- عبد الفتاح محمد السيد أحمد، التصوف بين الغزالي وابن تيمية، دار الوفاء، ط1، المنصورة، 1420هـ/2000م، ص34.

[2]- أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط3، القاهرة، (د.ت)، ص104.

[3]- الجنيد البغدادي: ابن محمد بن الجنيد النهارودي البغدادي القواريري والده الجزار هو شيخ الصوفية ولد نيف وعشرين ومئتين. **أنظر**: الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط ومأمون الصاغرجي، مؤسسة الرسالة، ط11، بيروت، 1417هـ/1996م، ج 14، ص67.

[4]- الجنيد، رسائل الجنيد، تح: علي حسن عبد القادر، برعي وجداي للنشر، القاهرة، 2003م، ص1.

[5]- عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ أحمد التيجاني وأتباعه، 2016م، ص66.

[6]- عبد الكريم بليل، التصوف والطرق الصوفية، مركز الكتاب الأكاديمي للنشر، 2018م، ص208.

[7]- عبد الفتاح أحمد، فلاسفة الإسلام والصوفية وموقف أهل السنة منهم، دار الوفاء لدنيا الطباعة، ط1، 2016م، ص218.

[8]- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني، دار المعارف، ط12، (د.ت)، ص109.

وعلى وقع ما شهدته هذه الفترة الزمنية من اختراقات من خلال بعض المتصوفة الذين تشبعوا بالفكر الفلسفي اندثرت أفكارهم بعض الشيء مع مجيء أبو أحمد الغزالي الذي نجح في التوفيق بين العقل والشرع بتوحيدهما في التصوف، المشكلة التي كانت أكثر المشاكل إزعاجا عند مختلف المذاهب الفكرية في المجتمع الإسلامي، وبالنسبة لأبرز من خط قلمه في التجربة الصوفية في هذه المرحلة نذكر الكلاباذي (ت330هـ/990م) وكتابه التعرف لمذهب أهل التصوف، الطوسي (ت387هـ/997م) وكتابه اللمع، أبو عبد الرحمان السلمي (ت412هـ/1021م) وكتابه طبقات الصوفية، ومن أشهرهم القشيري (ت465هـ/1063م) ورسالته القشيرية، دون أن نستثني ذكر من وضح أو فصل بين مفاهيم التصوف بين سني وفلسفي هم المصنفون أعداء للتصوف الفلسفي وتصوف البدع والخرافات من أمثال ابن تيمية وابن القيم وابن خلدون، إذ يؤيدون الاتجاهات الصوفية المطابقة لأهل للكتاب والسنة ويعارضون بشدة مذاهب التصوف الفلسفي عند الحلاج والسهروردي المقتول وابن عربي ومن سلك مسلكهم[1]، وأبو الفرج الجوزي الذي شن هجوما على متصوفة عصره المبتدعين في كتابه تلبيس إبليس[2].

المرحلة الثالثة: التصوف الفلسفي:

وهو ذلك التصوف النظري الذي يعتمد أصحابه على مزج أذواقهم الصوفية بأنظارهم العقلية، بمعنى أن آلياتهم للوصول إلى الحقيقة ليست لاهوتية مطلقة بل يستخدمون إضافات ومصطلحات فلسفية مستمدة من مصادر متعددة.

ظهر هذا التصوف بشكل نسقي ومنظم خلال القرنين السادس والسابع هجري/الثاني عشر والثالث عشر ميلادي، ومن أبرز أقطابه في هذا العصر السهروردي المقتول الذي اتهم من طرف فقهاء حلب بالكفر والإلحاد والزندقة فأعدم على يد صلاح الدين الأيوبي[3]، بسبب أفكاره فقد كان متأثرا جدا بما كتبه الفلاسفة اليونان فنقل منهم مذهب الإشراق الذي هو فرع من فروع الفلسفة اليونانية وقد سماه بمذهب الإشراق إشارة إلى إشراق الفيوضات والأنوار على النفوس المجردة، وهي فلسفة قائمة على البحث النظري والتأمل الروحي يصل الحكيم من خلالهما إلى تصفية قلبه وصقله ومن ثم وبعد أن يوضع في مقابل اللوح المحفوظ تنعكس فيه جميع المعارف الإلهية وتشرق عليه

[1]- علي عيسى عثمان، الإنسان عند الغزالي، دار الجيل للطباعة، مصر، (د.ت)، ص102.

[2]- مصطفى حلمي، ابن تيمية والتصوف، دار ابن الجوزي، ط1، مصر، 2005م، ص13.

[3]- عبد الفتاح رواس قلعه جي، السهروردي مؤسس الحكمة الإشراقية (دراسات ومختارات)، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2013م، ص41.

على ذلك اللوح[1]، وفي هذه المرحلة عرفت نظرية وحدة الوجود التي كان نموذج لأفكار بسيطة تعكس محاولات رؤيا الإنسان إلى الطبيعة وموقفه منها عن طريق أبي يزيد البسطامي في وقت سابق من الزمن، لكنها تطورت إلى مذهب في صورته الكاملة مؤسس على أن هناك وجودا واحد بمعنى أن الحق والخلق حقيقة واحدة تتجسد عندما تصل إلى أرقى أنواع العبادة المتمثلة بالإحساس بالوحدة الذاتية بين العابد والمعبود أي بمعنى التحقق ذوقا بأنك أنت هو على يد المتصوف الأندلسي محي الدين بن عربي (ت628هـ/1230م)[2].

لقد ظهر التصوف الفلسفي بشكل فعلي بداية من القرن السادس واستمر بعده لكننا وجب علينا أن ننوه بأن بذور التصوف الفلسفي ظهرت مبكرا بداية من القرن الثالث للهجرة/التاسع ميلادي عند بعض المتصوفة، نذكر منهم أبي يزيد البسطامي (ت261هـ/874م) والحسين بن منصور الحلاج (ت309هـ/921م) وابن سينا (ت428هـ/1036م)، فهم من الأوائل الذين أدخلوا مصطلحات غريبة فتحدثوا عن الفناء والبقاء والحلول[3]، يرجحها البعض أنهم تأثروا بالحضارات والأديان التي اخترقت العالم الإسلامي آنذاك منها اليهودية والمسيحية والزرادشتية[4] والبوذية[5] ناهيك عن الفلسفة اليونانية، عندما دخل هذا النوع من التصوف على المجتمع الإسلامي أحدث فيه انشقاق وترك آثار عميقة وحاسمة على التفكير الديني في الإسلام بخلقه أفعال غير مألوفة مثل تقديس الأشخاص والبحث الحثيث عن العادات والقصص الغريبة والتمسح بالأضرحة والاعتقاد القوي بنفعها وضرها مما أدى إلى ضمور طلب العلم وغياب الأخذ بالأسباب وانعدام الفكر العقلاني بسبب الجمود الذي ساد الأمة

[1]– السهروردي، حكمة الإشراق، مرا وتق: إنعام حيدورة، دار المعارف الحكيمة، ط1، 1430هـ/2010م، ص19.

[2]– محي الدين ابن عربي، فصوص الحكم شرح الشيخ عبد الرزاق القاشاني، آفاق للنشر، ط1، القاهرة، 2016م، ص33.

[3]– يوسف الطيب، الحضور الاجتماعي والسياسي للطرق الصوفية في الجزائر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 1436هـ/2015م، ص26.

[4]– الزرادشتية: ديانة فارسية قديمة مؤسسها زرادشت، عقيدتها تكمن في الصراع الدائم في العالم بين الخير ويمثله الإله أهورا مازدوا (أوزماد)، والشر يمثله إله الظلام أنجروماليوش (أهريمان). **أنظر**: فراس السواح، موسوعة الأديان، تح: عبد الرزاق العلي ومحمود منفد الهاشمي، دار التكوين، 2018م، ص12.

[5]– البوذية: ديانة ظهرت في الهند بعد الديانة البرهمية وقامت على أساس أن بوذا هو ابن الله ومخلص البشرية من مآسيها. **أنظر**: أحمد عبد الغفور عطار، الديانات والعقائد في مختلف العصور، مكتبة المهتدين، ط1، مكة المكرمة، 1401هـ/1981م، ص116.

الإسلامية آنذاك، والخمول والكسل الذي تفشى في المجتمعات الإسلامية بسبب سوء فهم للقضاء والقدر ومعنى العبادة في الإسلام[1].

المرحلة الثالثة: التصوف الطرقي:

تطورت التجربة الصوفية من تجربة ذاتية غايتها النجاة الفردية إلى تجربة جماعية فسلك المتصوفة مسلك التحزب وصاروا طبقة خاصة لها خصوصياتها ومقرراتها وآدابها ورسومها وتقاليدها، وصارت كل طائفة صوفية تأتمر بأوامر قطبها ومرشدها الذي له السلطان المطلق على أتباعه ومريديه، وصار لكل فرقة صوفية طريقتها في السير والسلوك جاء في هيكله العام[2].

ولقد عرفت الطرق الصوفية في القرن الثامن هجري/الرابع عشر ميلادي اتفاق وإن كان الاختلاف بينهم في التصريح بعقائد الحلول والاتحاد والوحدة أو عدمه على عكس الخلاف المطلق الذي كانوا عليه في القرنين الثالث والرابع الهجري/التاسع والعاشر ميلادي[3].

[1]- عبد الرحمان تركي، موقف المستشرقين من التصوف الإسلامي (دراسة تحليلية نقدية في كتابات المستشرقين)، دراسات استشراقية، جامعة الوادي، ع17، الجزائر، 2019م، ص97.

[2]- معتوق جمال، بن فرحات فتيحة، المرجع السابق، ص23.

[3]- عبد الله بن دجين السهلي، الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها، دار كنوز، إشبيليا، ط1، الرياض، 1426هـ/2005م، ص81،82.

المبحث الثالث: مصادر التصوف الإسلامي:

تأثر التصوف خلال مراحل تطوره المختلفة بالعديد من التأثيرات سواء كانت مصادر إسلامية داخلية أو مصادر خارجية، فبالرغم من مساهمة المؤثرات الخارجية على ظهور التصوف الإسلامي ونشأته إلا أن المصادر الإسلامية الداخلية تعد هي السبب الرئيسي في النشأة وتعتبر النواة الأولى للتصوف الإسلامي لأنها كانت الأكثر تأثيرا من المصادر الخارجية. ومن هنا سوف نتعرض لهذه المصادر ومدى تأثيرها على التصوف الإسلامي:

1-المصادر الداخلية:

يرى معظم القدماء والمحدثين أن مصدر التصوف إسلامي، وأن بذرته الأولى نبتت في ظل الإسلام ونمت وترعرعت بواسطة تعاليمه السامية التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية[1]، ومن هنا فإن المصادر التي اعتمد واستقى منها التصوف قوته هي:

أ-القرآن الكريم: إن القرآن الكريم يحوي في العديد من آياته إشارات إلى الإعراض عن الدنيا والتوجه إلى الآخرة[2]، قال الله تعالى[3]: **{اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ. سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}**، وقال أيضا[4]: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}**.

---

[1]- عبد الفتاح محمد سيد أحمد، المرجع السابق، ص21.

[2]- عفاف مصباح بلق، المرجع السابق، ص201.

[3]- سورة الحديد: آية 20،21.

[4]- سورة المنافقون: آية 9.

فالقرآن الكريم يعتبر المصدر الأول للشريعة الإسلامية دعا إلى الزهد في الدنيا والإعراض عنها، وبين لنا في آياته حقيقة الدنيا وشأنها، وأنها لعب ولهو ومتاع الغرور وإنها فانية وزائلة، وأن الآخرة هي الباقية وهي الحياة الحقيقية[1]، قال الله تعالى[2]: **{وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}**.

كما يحتوي على آيات من القرآن الكريم تشير إلى مقامات الصوفية وأحوالهم[3]، ومن الآيات القرآنية التي تستند إليها بعض تلك المقامات والأحوال عند الصوفية، فهذه الآية تشير إلى مجاهدة النفس، على قوله تعالى[4]: **{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}**.

-وأخرى تشير إلى مقام التقوى، فيستندون إلى قوله تعالى[5]: **{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}**.

-مقام الزهد، مستند لقوله تعالى[6]: **{قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا}**.

-مقام التوكل، جاء ذكره في قول الله تعالى[7]: **{وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}**، وقوله أيضا[8]: **{وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}**.

-مقام الشكر، مستند من قوله تعالى[9]: **{لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ}**.

-مقام الصبر، لقوله عز وجل[10]: **{وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ}**، وقوله أيضا[11]: **{وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ}**.

---

[1]- عفاف مصباح بلق، المرجع السابق، ص201.

[2]- سورة العنكبوت: آية 64.

[3]- أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، المرجع السابق، ص39-41.

[4]- سورة العنكبوت: آية 69.

[5]- سورة الحجرات: آية 13.

[6]- سورة النساء: آية 77.

[7]- سورة الطلاق: آية 3.

[8]- سورة التوبة: آية 51.

[9]- سورة إبراهيم: آية 7.

[10]- سورة النحل: آية 127.

[11]- سورة البقرة: آية 155.

-مقام الرضا، مذكور في قول الله تعالى[1]: **{رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}**.

-مقام الحياء، لقوله عز وجل[2]: **{أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ}**.

-وهناك أيضا مقامات أخرى منها، مثلا الفقر (بمعنى الافتقار إلى الله)، قال الله تعالى[3]: **{لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ}**، وقال أيضا[4]: **{وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ}**.

-وهناك أيضا مقام المحبة المتبادلة بين العبد والرب' مستند لقوله عز وجل[5]: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ}**.

أما عن الأحوال التي يتحدث عنها الصوفية، فهي أيضا مستمدة من القرآن الكريم[6]:

-فحال الخوف، جاء ذكره في القرآن الكريم في مثل قوله تعالى[7]: **{يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا}**.

-وحال الرجاء، مذكور في قوله تعالى[8]: **{مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ}**.

-حال الحزن، مستمد من قوله تعالى[9]: **{وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحزنَ}**.

-حال الذكر، في قوله تعالى[10]: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا}**.

---

[1]- سورة المائدة: آية 119.

[2]- سورة العلق: آية 14.

[3]- سورة البقرة: آية 273.

[4]- سورة محمد: آية 38.

[5]- سورة المائدة: آية 54.

[6]- أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، المرجع السابق، ص42،41.

[7]- سورة السجدة: آية 16.

[8]- سورة العنكبوت: آية 5.

[9]- سورة فاطر: آية 34.

[10]- سورة الأحزاب: آية 41.

-حال الدعاء، جاء ذكره في قوله تعالى[1]: **{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}**، وقوله أيضا[2]: **{أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ}**.كما دعاهم ربهم إلى التحمل والصبر، لقوله عز وجل[3]: **{وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ}**.

ومما سبق يتبين أن البدايات الأولى للتصوف الإسلامي من حيث علم المقامات والأحوال موجودة من القرآن الكريم، ومن هنا يكون التصوف من حيث نشأته الأولى آخذا من القرآن.

ب-السنة النبوية المطهرة: هي المصدر الثاني للدين الإسلامي، فكما كان القرآن الكريم منبعا استقى منه الصوفية تصوفهم، كذلك كانت حياة النبي التعبدية وأخلاقه وأقواله مصدرا من مصادر التصوف، فقد استمد من القرآن الكريم، فهو التطبيق العملي له وتفسير لما جاء فيه، قال الله تعالى[4]: **{وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ}**، وقال أيضا[5]: **{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ}**. فمعنى ذلك أنه كان للصوفية أسوة حسنة في رسول الله وقد كان مثالا للزهد[6]، حيث كانت حياة النبي صلى الله عليه وسلم حياة زهد وتقشف وتقلل من زينة الحياة الدنيا وإعراض زهرتها قبل البعثة وبعدها، فكان صلى الله عليه وسلم ينقطع للعبادة في غار حراء بعيدا عن زخارف الدنيا معتزلا العالم بأسره متأملا في مخلوقات الله تعالى، مطلقا بصره في الصحراء الخاشعة والجبال الشامخة وما بينهما من صنع عجيب، متدبرا في الكون كله، ممعنا تأمله وتفكيره فيما وراءه حتى أتاه اليقين[7].

أما حياته صلى الله عليه وسلم بعد البعثة فكانت مثلا رائعا في الزهد والتقشف، ووجد الصوفية فيها نبعا فياضا لهم، وخلاصة هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعيش عيشة الزهد والتقشف في طعامه وملبسه، وظل

---

[1]- سورة غافر: آية 60.

[2]- سورة النمل: آية 62.

[3]- سورة طه: آية 130.

[4]- سورة النحل: آية 44.

[5]- سورة الأحزاب: آية 21.

[6]- عفاف مصباح بلق، المرجع السابق، ص202.

[7]- عبد الفتاح محمد سيد أحمد، المرجع السابق، ص28.

على ذلك حتى لقي ربه، ولم يكن زهده صلى الله عليه وسلم عن عدم قدرة على الحصول على أطيب الطعام وفاخر الثياب، لأن ما غنمه الرسول صلى الله عليه وسلم من غنائم خلال المعارك التي انتصر فيها المسلمون كان كافيا لتوفير ما يمكنه من تحصيل ذلك لو أراد، ولكنه زهد في متاع الدنيا[1]، وهذا ما جعل الصوفية يستمدون من زهد النبي عليه الصلاة والسلام مشروعية اعتزالهم في زهدهم في الحياة، بالإضافة إلى آثار الصحابة والتابعين، حيث كانت حياة الصحابة أيضا يغلب عليها الزهد القائم على الكتاب والسنة، فكان الصحابة مثالا للزهد والتصوف، وكذلك التابعون أساس التصوف هو القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، حيث استمد منه المسلمون تصوفهم[2].

ومما سبق فإن الصوفية اعتمدوا على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وحياة الصحابة أيضا، فوجدوا في آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول وحياته، وأقوال الصحابة وحياتهم نفحات صوفية واضحة كانت المعين والمصدر الذي استقوا منه تصوفهم. حيث قال السهروردي[3] في صدد هذا: "إن الصوفية أوفر الناس حظا من الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وأحقهم بإحياء سنته".

2-المصادر الخارجية:

من المعلوم أن التصوف الإسلامي هو ظاهرة إسلامية نبتت في جو الإسلام وترعرعت في بيئته، وتأثرت بالدرجة الأولى بفعل النبي والصحابة معتمدة على ما جاء في الكتاب والسنة من حكمة وموعظة، وبما أن العالم الإسلامي لم يكن بمعزل عن ما كان يحيط به من شعوب وحضارات ساهمت هي الأخرى بما تحمله من ثقافات أجنبية امتزجت بالفكر العربي عن طريق الفتوحات الإسلامية وازدهار حركة الترجمة. وإذا كان هذا الأثر لا يبدو بوضوح في المراحل الأولى، فإنه بدا يظهر جليا لدى الدارسين والمتخصصين في المراحل التالية، ومن هنا لا يمكن تجاهل دور العوامل الخارجية في التأثير على التصوف الإسلامي، كما لا يمكن اعتبارها هي الأساس في التصوف الإسلامي. ومن بين هذه المصادر نذكر ما يلي:

[1]- عبد الفتاح محمد سيد أحمد، المرجع السابق، ص29.

[2]- عفاف مصباح بلق، المرجع السابق، ص202-204.

[3]- السهروردي، عوارف المعارف، تح: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ج2، ص56.

أ–المصدر المسيحي: من الباحثين من يرد التصوف إلى أصول الديانة المسيحية التي نقلت أفكار **الرهبنة**[1] والزهد إلى العرب، حيث يقول بعض المستشرقين أن التصوف الإسلامي مأخوذ من رهبانية الشام خاضع للروحانية المسيحية[2]. كما يرى نيكلسون إلى أن الزهاد المسلمين الأوائل –الصوفية–قد تشبهوا برهبان المسيح في لبس الصوف[3]، ووافقه ماسينيون واعتبر التصوف دخيلا على الإسلام فقال: "إن علماء الإسلاميات يحتارون في تعليل الخلاف الكبير في العقيدة بين مذاهب التصوف وبين مذاهب أهل السنة، ومن ثم ذهب إلى أن التصوف مذهب دخيل في الإسلام بعيد عن روحه"[4].

في حين أكد بعض المستشرقين على تأثير المسيحية في التصوف الإسلامي، من خلال تواصل تعامل المسلمين العرب والنصارى، حيث أدى هذا التواصل والاختلاط في الظهور جليا في سلوك بعض المسلمين المتأثرين ببعض الرهبان وغيرهم، مما كان له الأثر في نشأة التصوف الإسلامي، حتى أن بعض الصوفية المسلمين كانوا يرددون كثيرا من الأقوال وينسبونها إلى المسيح، وبالتالي هناك تشابه بين حياة الزهاد والصوفية وتعاليمهم في الرياضة والخلوة والتعبد وبين حياة المسيح وأقواله وأحوال الرهبان، وطرقهم في العبادة واللباس، وكذلك من إيثار الفقر والفقراء على الغنى والأغنياء وفي الحث على الصمت والذكر[5]. وهذا ما أكده نيكلسون[6] في قوله: "من الجلي أن ميول الزهد والتأمل التي أشرت إليها كانت على وفاق مع الفكرة المسيحية، ومنها استمدت أسباب قوتها، فكثير من نصوص الإنجيل ومن الأقوال المنسوبة إلى المسيح مقتبس في أقدم تراجم الصوفية، والرهابنة المسيحيون كثيرا ما يظهرون في مقام المعلمين، يولون النصح والتسديد لزهاد مسلمين متنقلين، وقد رأينا أن ثوب الصوف –الذي منه جاء الصوفي– مسيحي الأصل، ونذور الصوم عن الكلام، والذكر، ورياضات الزهد الأخرى، لعلها ترد إلى هذا الأصل نفسه".

---

[1]– الرهبنة: هي التقشف والتخلي عن أشغال الدنيا وترك ملاذها والزهد فيها والعزلة عن أهلها، والاستغراق في العبادة. **انظر**: أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، القاهرة، مج1، 1429هـ/2008م، ص949.

[2]– محمد عبد المنعم خفاجي، المرجع السابق، ص36.

[3]– ر.ا.نيكلسون، الصوفية في الإسلام، تر وتع: نور الدين شريبه، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1422هـ/2002م، ص67.

[4]– ماسينيون ومصطفى عبد الرازق، المرجع السابق، ص47،48.

[5]– عبد الفتاح محمد سيد أحمد، المرجع السابق، ص24،25.

[6]– ر.ا.نيكلسون، الصوفية في الإسلام، ص19.

فرغم التشابه الكبير بين التصوف وتعاليم المسيحية، غير أن ذلك لا يعتبر دليلا على أن التصوف مبادئه مسيحية[1].

ب–المصدر اليهودي: إن التصوف الإسلامي قد تأثر بالثقافات الأخرى الموجودة في المجتمع الإسلامي، سواء مجتمع الجزيرة العربية أم غيرها من البلاد التي دخلت في الإسلام، ومن بين هذه الثقافات اليهودية التي أثرت في الاتجاه الفكري الإسلامي سواء أكان ذلك عن طريق اليهود الذين اعتنقوا الإسلام أم اليهود الذين بقوا على دينهم[2].

أكد المستشرق جولد زهير وغيره من الباحثين أمثال أرتمان وأورتين أن الصوفية المسلمين قد تأثروا باليهودية[3]، من خلال أن بعض المصطلحات الصوفية هي مرادفة لمصطلحات التصوف اليهودي المعروف باسم الكابالا[4]، ففي التنبؤ اليهودي يصنفون الواصلين إلى الجذبة[5] على ثلاث مراحل: نبي ثم رائي ثم بصير وهو أعلاها، والبصير عندما يتصدى لتسليك المريدين يسمى "صوفي"، أي المرشد نفس الشيء بالنسبة للمتصوفة المسلمين يقسمون المكاشفين كذلك إلى نفس المراتب الثلاثة: ثم المكاشف ثم المشاهد وهو أعلاها وعندما يتصدى من وصل إلى مقام الشهادة إلى تسليك المريدين يسمونه المرشد، وقالوا أن أسلوب الكبالة في تفسير الكتاب المقدس هو باطني رمزي مثل تفسير متصوفة المسلمين للقرآن الكريم تماما[6]، كما يوجد هناك تشابه بين ذكر الصوفية البدعي وما دعا إليه العهد القديم وتأثر الصوفية المسلمين بالكهانة والتنجيم اليهودي ،وقد ظهر ذلك وإن كان بأسماء أخرى مثل المعرفة الصوفية وطرقها التي هي ادعاء علم الغيب عن طريق الكشف وغيره ولا يخفى على أحد أيضا تأثر الشيعة في مسألة تقديس

---

[1]– عفاف مصباح بلق، المرجع السابق، ص205.

[2]– سارة بنت عبد الحشن بن عبد الله جلوي السعود، نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام، دار المنارة، ط1، جدة، 1411هـ/1991م، ص319.

[3]– العزيز بن عبد الله، معلمة التصوف الإسلامي آثار التصوف المغربي في الفكر الصوفي المشرقي، دار النشر المعرفة، ط1، الرباط، 2001م، ج3، ص88.

[4]– الكابالا: كتاب يتوارثه اليهود منذ القدم وهو يعالج التصوف اليهودي عن طريق السحر الذي يمثل شطرا من الطقوس الدينية. **انظر**: إبراهيم الدبو وآخرون، الإسلام وقضايا العصر، دار المأمون، ط2، الأردن، 1433هـ/2012م، ص46.

[5]– الجذبة: الجذبة المغناطسية الحقيقية التي تكون نتيجتها وأثرها تحطيم القيود والحدود الأنفسية والاتجاه نحو عالم التجرد والإطلاق وأخيرا الفناء في الفعل والاسم والصفة والذات المقدسة لمبدأ المبادئ وغاية الغايات وبقاء الموجود ببقاء المعبود، هذه الجذبة هي أعلى وأرقى من كل عمل يمكن تصوره. **انظر**: عباس نور الدين، معجم المصطلحات الأخلاقية، مكتبة مؤمن قريش، ط1، بيروت، 2006م، ص28.

[6]– محمود عبد الرؤوف قاسم، الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ، دار الصحابة، ط1، لبنان، 1408هـ/1987م، ص768.

الأئمة وتناسخ الجزء الإلهي في بعض البشر، وقال بعض فرق الشيعة في علي رضي الله عنه بذلك التناسخ ومن ثم انتقل ذلك من أولئك فظهر فيهم الغلو في المشايخ وأصحاب الطرق والأولياء[1].

ج–المصدر الفارسي: بعد انتشار الفتوحات الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ودخول كثير من الشعوب تحت حكم الإسلام اعتنق كثير من أهل هذه الأمصار المفتوحة الإسلام، وأكثر هؤلاء كانوا ينتمون إلى أصول ثقافية وحضارية عريقة ولهم العديد من التجارب الفكرية والمادية والروحية، ومن أعرق هذه البلاد وأقدمها بلاد فارس التي دخلها الفتح الإسلامي في فترة مبكرة من التاريخ، بل إن كانت ذات صلات اجتماعية وثقافية ودينية مع العرب قبل الإسلام، ونظرا لكون الإسلام دينا منفتحا يحترم الحرية الفكرية والعقلية ويشجع على العلم والمعرفة، فقد أقبل المسلمون على تذوق الثقافات الفارسية والاطلاع على حضارات بلاد فارس، وفي المقابل تحمس أصحاب هذه الثقافات والحضارات من الفرس إلى عرض ما عندهم وترجمة كثير من الكتب الفارسية إلى اللغة العربية وبدأ الالتقاء الفكري والتزاوج بين الفكر والذوق الإسلامي والحضارة الفارسية بكل معطياتها[2]، فرأى الباحثين بأن التصوف الإسلامي قد تأثر بالديانة الزرادشتية بسبب أن الفرس نقلوا أفكارهم إلى المجال الإسلامي في كل شأن من شؤون الحياة، وثانيا أن هناك صلات بين العرب والفرس موجودة منذ دخول الفرس الإسلام، ولهذا اتصل شيوخ الصوفية بالفرس كما أن جزء كبير من الشيوخ أصله فارسي، ومن هنا يكون التصوف الإسلامي قد تأثر إلى حد كبير بأفكار وقيم ومبادئ الفرس[3].

د–المصدر الهندي: ذهب مستشرقون كثيرون إلى تلمس للتصوف الإسلامي في الديانات الهندية ويعتمد هؤلاء في تأييد وجهة نظرهم على ما يلاحظ من تشابهات من بعض مظاهر التصوف النظرية والعلمية في الإسلام وفي ديانات الهند، ومن بين المستشرقين الذين قالوا بذلك "الفرد فون كريمر" فهو يرى أن في التصوف عنصرين مختلفين الأول مسيحي رهباني والثاني بوذي وهو ظاهر في الحارث المحاسبي وذي النون المصري وأبي يزيد البسطامي والجنيد[4]،

---

[1]– محمود يوسف الشوبكي، مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي، مجلة الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية، مج10، ع2، غزة، 2002م، ص25،26.

[2]– سارة بنت عبد الحسن بن عبد الله بن جلوي السعود، المرجع السابق، ص345.

[3]– عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية ومدارسها، مكتبة مدبولي، ط2، القاهرة، 1999م، ص30.

[4]– محمد عبد الله الشرقاوي، المستشرقون ونشأة التصوف الإسلامي، دار البثير للثقافة والعلوم، ط1، 2016م، ص27.

ومن أبرز من قال بالأصل الهندي للتصوف الإسلامي المستشرق جولد تسهير فبحسب رأيه فإن التصوف الإسلامي ليس سوى تمثل لتيارات الآراء الهندية والأفلاطونية الجديدة، وذكر لنا المستشرق ماكس هورتن أنه بعد تحليله لتصوف أبي يزيد البسطامي (ت261هـ/874م) والجنيد (ت297هـ/909م) والحلاج (ت309هـ/921م) وجد أن التصوف الإسلامي في القرن الثالث هجري/التاسع ميلادي كان مشبعا بالأفكار الهندية[1]، فقد كان للتصوف الهندي أثره في بعض نواحي التصوف الإسلامي لا سيما ما يتصل منها بالطقوس الدينية الروحية وأساليب مجاهدة النفس[2]، منهم من يربط بين مذهب وحدة الوجود ومذهب الفيدانتا[3] الذي يمثل الديانة البرهمية وبين النيرفانا[4] عند البوذية وبين الفناء عند الصوفية[5]، لكن رفض الرأي الذي يقول أن الفناء الصوفي نوع من النارفانا لأنها ظاهرة سلبية محضة وفكرة متفرغة عن مذهب تشاؤمي شامل في حين أن الفناء الصوفي له ناحيته الإيجابية كما له ناحيته السلبية وأنه لا دخل له في فلسفة تشاؤمية في طبيعة الوجود، لكن هذا لا يمنع من القول أن التصوف الإسلامي قد تأثر بالتصوف الهندي على وجه العموم لأن الثقافة الهندية قد شقت طريقها إلى بلاد الفرس وبلاد غربي آسيا مما يلي الحدود الهندية قبل الفتح الإسلامي للهند بنحو ألف عام أي قبل فتحها على يد السلطان محمد الغزنوي (ت421هـ/1030م) دليل على ذلك أن مدينة بلخ[6] كانت قبل الفتح الإسلامي من أهم مراكز التصوف البوذي ونشأ فيها العديد من المتصوفة بعد الفتح الإسلامي[7].

---

[1]– عادل سالم وآخرون، إسلامية المعرفة، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ع97، 1440هـ/2019م، ص150.

[2]– أبو العلا عفيفي، التصوف الثورة الروحية في الإسلام، دار الشعب، بيروت، (د.ت)، ص77.

[3]– الفيدانتا: مصطلح كان في الأصل كلمة تستخدم في الفلسفة الهندوسية كمرادف لذلك الجزء من نصوص معروفة أيضا باسم الأوبانشيد. **انظر**: ولتر ستيس، تعاليم الصوفيين بين الشرق والغرب، تح: نبيل باسيليوس، آفاق للنشر والتوزيع، مصر، 2021م، ص43.

[4]– النيرفانا: هي الغاية التي ينتهي إليها الإنسان بعد خلاصة من كل ألم وفوزه بالنجاة الحقيقية في الفلسفة البوذية. **انظر**: الشيخ كامل محمد محمد عويضة، بوذا والفلسفة البوذية، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1414هـ/ 1994م، ص145.

[5]– عزمي طه السيد أحمد، التصوف الإسلامي حقيقته وتاريخه ودوره الحضاري، المؤسسة العربية الدولية للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2004م، ص80.

[6]– بلخ: مدينة مشهورة بخراسان، بناها لهراسف الملك لما خرب صاحبه بخت نصر بيت المقدس وقيل بل الإسكندر بناها وكانت تسمى الإسكندرية قديما. **انظر**: ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م، ج1، ص479.

[7]– أبو العلا عفيفي، المرجع السابق، ص77،78.

هـ–المصدر اليوناني: عندما سيطر اليونانيون بقيادة الإسكندر بن فليب المقدوني[1] على بلاد الشام ومصر والعراق وفارس وبعض الهند سيطرت ثقافتهم وفلسفتهم بعد أن امتزجت بالثقافة الشرقية على البلاد منذ القرن الثالث قبل الميلاد، فبعد الفتح الإسلامي بداية من القرن الثاني هجري/الثامن ميلادي انتشرت حركة الترجمة في العصر العباسي وتعرف العرب على هذه الفلسفة وتأثروا بها خاصة المتصوفة[2]، حيث قال التفتازاني: "نحن لا ننكر الأثر اليوناني على التصوف الإسلامي فقد وصلت الفلسفة اليونانية عامة والأفلاطونية المحدثة[3] خاصة إلى صوفية الإسلام عن طريق الترجمة والنقل والاختلاط مع رهبان النصارى"[4].

ومن أبرز عناصر الفكر اليوناني الغنوصية والإشراقية وقد أثر ذلك في التصوف فقد دعا إلى التقشف ودعا إلى اتصال النفس بالملأ الأعلى إذ يعتقد بوجود عالم روحاني نوراني فوق عالم الطبيعة لا يدرك العقل حسنه وبهاؤه ويبلغ الإنسان ذلك العالم إذا تطهرت نفسه من علائق هذا العالم المادي فتغدوا نظيفة إذا تبرأت من العجب والتكبر والرياء والحسد، والأفلاطونية الحديثة تحتوي على كثير من الفكر الصوفي إن صح التعبير، حيث يعتقدون بنظرية الفيض الإلهي وكذلك يقولون بالعقل الأول والنفس الكلية والنفوس الجزئية وهي من مراتب الوجود عندهم وهذا ما يقول به بعض الصوفية من أمثال ابن عربي وكذلك نظرية الكشف والشهود والمعرفة[5].

---

[1]– الإسكندر المقدوني بن فليب (ذي القرنين) 323–356 ق.م: ورث حكم مقدونيا (شمال اليونان عن أبيه) فاستطاع أن يوحد بلاد الإغريق، ثم ينقل الحرب إلى آسيا حيث خاض مع الفرس معارك عديدة، انتهت بإسقاط الإمبراطورية الفارسية الأخمينية (331–559 ق.م)، أسس إمبراطورية واسعة الأرجاء شملت اليونان والشام ومصر وفارس والهند... **انظر**: الحسين بن حمدان الخطيب، الرسالة الرستباشية في أصول العقيدة النصرية (العلوية)، تح: رواء جمال علي، 2014م، ج3، ص394،395.

[2]– محمود عبد الرؤوف قاسم، المرجع السابق، ص749.

[3]– الأفلاطونية المحدثة: جمعت بين مفهوم علاقة لمثل المفارقة بالكون المحسوس كما عند أفلاطون وبين مفهوم العلاقة الواجب بالممكن كما عند أرسطو مع تأثر بأفكار روحية صوفية. **انظر**: رابح عبد الحميد الكردي، نظرية المعرفة بين القران والسنة، مكتبة المؤيد، ط1، السعودية، 1416هـ/1996م، ص339.

[4]– صباح السيد سليمان، المعمار المملوكي بين هندسة اللفظ وهندسة الشكل، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، القاهرة، 2006م، ص6.

[5]– محمود يوسف الشوبكي، المرجع السابق، ص31.

ويذهب بعض المؤرخين إلى أن أصل مصطلح كلمة التصوف مأخوذ من كلمة "سوفيا" وهي بمعنى الحكمة اليونانية، وقيل أنه نسبة للبس الصوف وهذا هو المعنى الأقرب للصحة لأن لبس الصوف كان علامة على الزهد ويقال أن ذلك تشبه بالمسيح عيسى ابن مريم[1].

ومما سبق فإن مصدر التصوف يعتبر إسلامي، وخاصة أن أصوله العقدية والسلوكية مستمدة من نصوص الكتاب والسنة، ومطابقة لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، فقد استمد الزهاد زهدهم واستقى الصوفية أذواقهم ووجدوا ما يؤيدون به مذاهبهم في تلك المصادر الإسلامية.

[1]– الدليمي عبد المنعم عبد الله خلف، الألفاظ اليونانية في مؤلفات العربية وتأصليها، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، 2016م، ص118.

الفصل الثانى

المبحث الأول: الغزو الصليبي ونتائجه:

عرف المشرق الإسلامي توترا سياسيا وحروبا عدة خلال القرن 7هـ/13م، منها الحروب الصليبية التي خلفت وراءها آثارا اجتماعية واقتصادية على مجتمع المشرق الإسلامي.

تعرض العالم الإسلامي في تلك الفترة للحروب الصليبية[1] والتي بدأت في المشرق لأول مرة في بلاد الشام سنة (491هـ/1098م) بدخول الفرنج أنطاكية[2] والرها[3] ومعرة النعمان[4]، ثم استولوا على بيت المقدس سنة (492هـ/1098م) وعلى عكا[5] سنة (497هـ/1103م)، ولم يتوقف الفرنج عند هذا الحد، ففي سنة (564هـ/1168م) وجهوا أنظارهم نحو الديار المصرية وحاصروا القاهرة، لتأتي حملة صليبية أخرى استهدفت غزو عكا ثانية سنة (587هـ/1191م)، وعند فشل هذه الأخيرة غيرت الحملة الصليبية وجهتها نحو مصر وذلك سنة (598هـ/122م)، فسقطت معظم أقطار المشرق بسبب هذه الحملات[6].

بما أنه يصعب الفصل بين الأحداث التاريخية التي وقعت في فترة الحروب الصليبية واستحالة التطرق لجميع الحملات الصليبية بالتفصيل، فإنه كان لزاما علينا تناول الحروب التي تندرج ضمن الفترة الزمنية لموضوع دراستنا والمحددة بالقرن 7هـ/13م أي بدءا من الحملة الصليبية الخامسة ثم السادسة مرورا بالحملة الصليبية السابعة آخر الحملات الصليبية على المشرق.

---

[1]- الحروب الصليبية: هي عبارة عن حملات صليبية وجهت ضد الإسلام والمسلمين. **انظر**: وسيلة فراج، الهجرة في المشرق الإسلامي زمن الحروب الصليبية، مجلة الباحث، المدرسة العليا للأساتذة الشيخ مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري، مج13، ع2، الجزائر، 2022م، ص210.

[2]- أنطاكية: مدينة واقعة على نهر العاصي قرب مصبه في البحر المتوسط، وهي من أهم المدن الكبرى في العالم القديم. **انظر**: يحي الشامي، موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربي، ط1، بيروت، 1993م، ص308،309.

[3]- الرها: مدينة يعود تأسيسها إلى العهد الآرامي (400 ق.م)، في منطقة ما بين النهرين الغربية الشمالية. **انظر**: سامي عبد الله المغلوث، أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى، مكتبة العبيكان، ط1، الرياض، 1430هـ/2009م، ص52.

[4]- معرة النعمان: مدينة متوسطة واقعة بين حماة من الجنوب وحلب من الشمال. **انظر**: محمد سليم الجندي، تاريخ معرة النعمان، تح: عمر رضا كحالة، منشورات وزارة الثقافة، ط1، 1383هـ/1963م، ج1، ص310.

[5]- عكا: مدينة عربية فلسطينية داخل الخط الأخضر تديرها السلطات اليهودية المغتصبة، تقع على ساحل البحر المتوسط غربي منطقة الجليل. **انظر**: سامي عبد الله المغلوث، المرجع السابق، ص121.

[6]- وسيلة فراج، المرجع السابق، ص210.

أ)-الحملة الصليبية الخامسة:

لم يخرج دافع الحملة الصليبية الخامسة عن الدافع العام للحروب التي سبقتها والمتمثل في استرجاع بيت المقدس من أيدي المسلمين، وقد أثيرت هذه الحروب تحت إشراف البابا إينوسنت الثالث خلال المؤتمر الديني الذي عقد في كنيسة لاتيران في روما في 18شعبان612هـ/11نوفمبر1215م، وقد بدأ المؤتمر بالخطبة التي ألقاها البابا وعبر فيها عما تقاسيه مدينة بيت المقدس من انتهاكات للأماكن المقدسة من جانب المسلمين وضرورة القضاء عليهم، وقد تحدد يوم 24صفر614هـ/1جوان1217م موعد لإبحار الحملة واستهدفت هذه الحملة مصر[1].

وفي أواخر سنة 616هـ/1219م وبعد حصار طويل ومقاومة مستميتة من طرف المسلمين في دمياط[2]، إلا أنها سقطت في أيدي الصليبيين، ثم زحفوا نحو القاهرة وعند وصولهم لحصن شيده السلطان الكامل[3] والذي يعرف بمدينة المنصورة عسكروا بهذه المنطقة[4].

أما موقف السلطان الكامل تمثل في عرض اتفاق نص على التنازل عن معظم مملكة بيت المقدس وتسليم الصليب المقدس وإعادة جميع الأسرى، غير أن المندوب البابوي أصر على الحصول إلى جانب كل ذلك على تعويض كبير عندئذ فشلت المفاوضات وأعلن السلطان استعداده للقتال ومطاردة الصليبيين إلى دمياط، لتنتهي بعقد معاهدة بين الكامل والصليبيين نصت على انسحابهم وبذلك تنتهي الحملة الصليبية الخامسة بفشل آخر[5].

---

[1]- إسمت غنيم، الحملة الصليبية الرابعة ومسؤولية انحرافها ضد القسطنطينية، دار المعارف، 1982م، ص174.

[2]- دمياط: مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم الملح والنيل. **انظر**: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص472.

[3]- السلطان الكامل محمد ناصر الدين: أبو المعالي بن الملك الأفضل نجم الدين أيوب بن شاذى بن مروان، خامس ملوك الأيوبيون في مصر وسابعهم في دمشق، ولد بمصر سنة (576هـ/1180م)، وتولاها سنة (615هـ/1218م)، ثم امتلك الديار الشامية بعد ذلك، توفي سنة (635هـ/1218م). **انظر**: قتيبة الشهابي، معجم ألقاب أرباب السلطان في الدول الإسلامية من العصر الراشدي حتى بدايات القرن العشرين، وزارة الثقافة السورية، دمشق، 1995م، ص146.

[4]- إرنست باركر، الحروب الصليبية، تر: السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، ط2، لبنان، (د.ت)، ص109.

[5]- المرجع نفسه، ص109.

ب)-الحملة الصليبية السادسة:

بعد فشل الحملة الصليبية الخامسة قاد الإمبراطور فريدريك الثاني الحملة الصليبية السادسة والتي كانت فريدة من نوعها، فهي دون الحملات الصليبية التي لم تباركها البابوية بل صبت عليها لعنتها وهي الوحيدة بين الحملات الصليبية التي جرى توجيهها دون أن تقوم بأي عمل عدائي ضد المسلمين[1].

أما الشرق الإسلامي فقد كان يعاني من المكائد والتحالفات بين أفراد البيت الأيوبي كانت كفيلة بأن تؤدي إلى انهيار الحكم الأيوبي وتمزيق وحدة المسلمين، حيث وصل التوتر بين الملك الأعظم[2] وأخويه الكامل والأشرف[3] إلى أشده بعد تحالف الملك المعظم مع خوارزمشاه[4] لدعمه فأعانه على أخيه الملك الأشرف[5].

كما أدرك الكامل الخطر الذي يحدق به بعد تحالف أخيه المعظم مع سلطان الدولة الخوارزمية، فكان رده على ذلك بأن استعان بالإمبراطور فريدريك الثاني وتعهد له بمنحه بيت المقدس وجميع فتوحات صلاح الدين[6] بساحل الشام، استغل الإمبراطور فريدريك الثاني هذا الأمر[7].

---

[1]- إرنست باركر، المرجع السابق، ص111.

[2]- الملك الأعظم شرف الدين: أبو العزائم بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد الأول بن الملك الأفضل نجم الدين أيوب بن شاذى بن مروان، ثالث الملوك الأيوبيين في دمشق، ولد في القاهرة سنة (576هـ/1180م)، وتوفي سنة (589هـ/1193م). **انظر**: قتيبة الشهابي، المرجع السابق، ص156.

[3]- الأشرف مظفر الدين: أبو الفتح بن الملك سيف الدين أبي بكر محمد الأول بن الملك الأفضل نجم الدين أيوب، خامس ملوك الأيوبيون في دمشق، ولد سنة (587هـ/1182م)، وتولى دمشق سنة (626هـ/1229م) وتوفي فيها سنة (635هـ/1237م). **انظر**: قتيبة الشهابي، المرجع نفسه، ص121.

[4]- خوارزمشاه: السلطان الكبير علاء الدين خوارزمشاه محمد ابن السلطان خوارزمشاه إيل رسلان ابن خوارزمشاه أتسز ابن الأمير محمد بن نوشتكين الخوارزمي، كان صبورا على التعب وفاضلا وعالما بالفقه والأصول، مكرما للعلماء يحب مناظرتهم، مات في الجزيرة سنة 617هـ/1221م. **انظر**: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج22، ص139-143.

[5]- إبراهيم ياسين الخطيب، القدس بين أطماع الصليبيين وتفريط الملك الكامل الأيوبي، دار المناهج، ط1، الأردن، 1421هـ/2001م، ص272،273.

[6]- صلاح الدين: السلطان الكبير الملك الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف ابن الأمير نجم الدين أيوب بن شاذى بن مروان بن يعقوب الدويني ثم التركيتي المولد، المشهور بلقب صلاح الدين الأيوبي، قائد مسلم ومؤسس الدولة الأيوبية، ولد سنة (532هـ/1138م). **انظر**: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج21، ص278،279.

[7]- إبراهيم ياسين الخطيب، المرجع السابق، ص274.

فخرج هذا الأخير على رأس حملته الصليبية في صيف عام 625هـ/1228م، وعند وصول فريدريك الثاني إلى عكا في 625هـ/1228م ومعه حوالي خمسمائة فارس بعد أن سبقته إليها قوات الحملة[1].

كان الموقف بين أفراد البيت الأيوبي قد تغير فقد توفي الملك المعظم في ذو الحجة 624هـ/نوفمبر1227م وخلفه ابنه الناصر داوود وهو شاب صغير بالسن في العشرين من عمره ليست له خبرة ولا قوة ولم يلبث أن اشتغل باللهو وأعرض عن مصالح الدولة، وبذلك زال الخطر عن الملك الكامل ولم يعد في حاجة إلى مساعدة الإمبراطور فريدريك الثاني[2].

وإزاء هذه الظروف لم يبق أمام فريدريك غير سلاح المفاوضة والاستعطاف واستخدام كل الوسائل الدبلوماسية لتحقيق هدفه واستلام بيت المقدس، وانتهى الأمر بين الكامل وفريدريك بعقد صلح يافا في الثاني والعشرين من ربيع الأول 626هـ الموافق لـ 18فيفري1229م[3]، والتي نصت على البنود التالية:

– تسليم بيت المقدس إلى الصليبيين على شرط أن يبقى سور بيت المقدس مخربا ولا يعاد تجديده وبناؤه، وأن يحتفظ المسلمون بالمسجد الأقصى وقبة الصخرة.

– يكون على ملك الصليبيين القرى الممتدة على الطريق من بيت المقدس إلى مملكة عكا الصليبية.

– يتعهد فريدريك الثاني بمساعدة الملك الكامل ضد خصومه سواء كانوا مسيحيين أو مسلمين، كما يتعهد الإمبراطور بالحيلولة دون الإمدادات الصليبية إلى الأمراء الصليبيين بالشام مدة عشر سنوات ونصف[4].

لقد أثارت هذه المعاهدة بسخط العالم الإسلامي والمسيحي على حد سواء، فقد فزع المسلمون لقيام الملك الكامل بتسليم القدس للإمبراطور فريدريك، وأن ما قدمه الملك الكامل من أسباب وأعذار لم يمن ما يبررها، وإذا

[1]– محمود سعيد عمران، الحملة الصليبية الخامسة: حملة جان دي برين على مصر 1218-1221م/615-618هـ، دار المعارف، الإسكندرية، 1405هـ/1985م، ص364.

[2]– إسمت غنيم، المرجع السابق، ص199.

[3]– محمود سعيد عمران، الحملة الصليبية، ص364.

[4]– محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، 1982م، ص116.

كان الإمبراطور قد نجح في إعادة الأماكن المقدسة للعالم الإسلامي، غير أن هذه المعاهدة قد قوبلت بالنقد من الجانب الصليبي والمسيحي الأوربي، فقد حزن الصليبيون لأن الإمبراطور لم يسترد القدس بقوة السلاح[1].

غير أن هذه المدينة لم تلبث أن خرجت من يد الصليبيين والتي استرجعت في عهد الملك الصالح أيوب إبن الملك الكامل، حيث استعانوا بالقبائل الخوارزمية، فاقتحموا بيت المقدس واستولوا عليها بسهولة لتعود للسيطرة الإسلامية سنة 642هـ/1244م[2].

ج)-الحملة الصليبية السابعة:

لم تمض ثلاث سنين على انتهاء الحملة الصليبية السادسة التي استهدفت مصر حتى توجهت حملة جديدة بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا والتي باركها وساندها البابا إينوسنت الرابع، فقد دعا إلى الاشتراك بالحملة الصليبية السابعة خشية أن يطفر نفوذ الملك الفرنسي الذي اشتهر بالورع والتقوى وعرف بمواقفه الحازمة حيال الكنيسة ورجال الدين على نفوذه كرجل دين ورئيس أعلى للكنيسة اللاتينية[3].

وأرسلت أساطيل لويس التاسع بجزيرة قبرص في 646هـ/سبتمبر1248م، غير أنه ظل هناك نحو ثمانية أشهر اتصل فيها بالإمارات الصليبية في البلاد الشامية وبإشارة من قيادة الفرسان قرر لويس التاسع الهجوم على البلاد المصرية وغزوها، وفي 647هـ/ماي1249م أقلعت الحملة من قبرص نحو دمياط، إلا أن عاصفة بحرية فرقت سفن الأسطول جعلتها تصل إلى السواحل المصرية في فترات متقطعة، وكانت مراكب لويس التاسع أولى السفن التي وصلت إلى دمياط في 647هـ/جوان1249م[4].

[1]- محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية 1096-1291م، دار المعرفة الجامعية، (د.ت)، ص260.

[2]- محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص117.

[3]- محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب، ص308.

[4]- محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص118،119.

وقد تمكن الصليبيون من النزول على الساحل ونصبوا خيامهم، وقد حدثت بعض الاشتباكات بين الطرفين الإسلامي والصليبي، استمرت من الصباح الباكر حتى الظهيرة وانتهت بانتصار الصليبيين وقتلوا عدد من الأمراء المسلمين واستولوا على المدينة دون أدنى حصار أو قتال[1].

ثم شرع الصليبيون في الزحف نحو القاهرة، وما لبث أن وقع لويس التاسع أسيرا وهو ما دفع إلى عقد معاهدة جاء في أهم بنودها جلاء القوات المسيحية عن دمياط مع دفع 800 ألف قطعة ذهبية، وترتب على ذلك أن تم إطلاق سراح القديس لويس عند تسليم دمياط ودفع نصف ما هو مقرر من الفدية[2].

غادر دمياط إلى عكا والتي وصل إليها في 13ماي وقضى فيها أربع سنوات لتصفية الخلافات بين أمراء الصليبيين، إلا أنه فشل في ذلك فعاد إلى بلاده في 6ربيع الأول652هـ/25أفريل1254م[3].

وعلى هذا النحو منيت الحملة الصليبية السابعة على مصر بالفشل الذريع بعد أن أصيبت بكوارث، وتعرضت لمحن شديدة انتهت بوقوع قائدها القديس لويس في الأسر على يد المسلمين.

***نتائج الحروب الصليبية:**

إن استمرار الحركة الصليبية لسنوات طويلة والتي لم تقتصر فيها هجمات الصليبيين على بلاد الشام وحدها، وإنما امتدت إلى معظم البلدان الإسلامية في المشرق، فهاجم الصليبيون الوافدون من الغرب الأوربي العراق ومصر وآسيا الصغرى، بل وقد وصلت إلى شواطئ الحجاز نفسه.

وليس هناك من شك أن اتساع دائرة الحركة الصليبية على تلك الشاكلة، كان له أثره الواضح في ازدياد الصلات والروابط بين الشرق الإسلامي والغرب الأوربي، وهو ما انعكس على حد سواء على تاريخ الشرق والغرب، وتتمثل نتائج الحملات الصليبية على العالم الإسلامي فيما يلي:

[1]- إسمت غنيم، المرجع السابق، ص222.

[2]- إرنست باركر، المرجع السابق، ص122.

[3]- شوقي أبو خليل، الحروب الصليبية: أسبابها، أحداثها، نهايتها، دار الفكر، ط1، دمشق، 1430هـ/2009م، ص45.

- ذلك أن الحركة الصليبية التي بدأت في أواخر القرن الحادي عشر فتحت الباب أمام ألوف الأوربيين الذين وفدوا من غرب أوربا ليستقروا في الشرق الإسلامي، وكان لا بد لهم من الاتصال الدائم ببلادهم الأصلية، فبدأت حركة ملاحية ضخمة في البحر المتوسط بين موانئ الشرق وبلدان الغرب[1].
- تزايد النشاط التجاري في بلدان الشرق الأدنى وما ترتب على ذلك النشاط من ثروة تركت أثرها على البلاد والعباد، فقد استقل التجار الأوربيون من إيطاليا ومرسيليا وإسبانيا المراكز التي أقامها الصليبيون في بلاد الشام في القيام بنشاط تجاري واسع بين الشرق والغرب[2].
- بث الرعب والقرع والتخريب والتدمير كما جلبت معها الجدب والقحط أينما حلت خاصة في البلاد الشامية التي عانت العديد من الويلات، هذا بالإضافة إلى ما تخلفه الحروب من إراقة دماء الأبرياء والضعفاء دون حساب ولأتفه الأسباب. وبالتالي لم ير العالم الإسلامي من جراء هذه الحروب سوى الويلات والخراب في وقت كانت التفرقة منتشرة بين صفوف المسلمين[3].
- شعور المسلمون بمدى عجز الحكام فامتلأت النفوس بروح العجز كما شاعت روح من التقوى السلبية والتدين العاطفي، والذي تجسد في انتشار الطرق الصوفية الجاهلة من الدراويش وأتباعهم الذين كانوا يرددون الخرافات وأنباء عن المعجزات فانحرفوا عن المعنى الجوهري للتصوف الذي يعني النسك والزهد والتفقه في الدين، ورغم ظهور فريق من المتصوفة الفلاسفة الذين يحتكمون إلى العقل إلا أن الانحلال الأخلاقي والاجتماعي ساهم في انتشار أصحاب الطرق، والتي بلغت حوالي ست وثلاثين فرقة[4].
- أما فيما يخص الغرب الأوربي فقد كانت نتائج الحروب الصليبية تظهر جليا في الميدان الحضاري نتيجة الاحتكاك المباشر بالحضارة العربية الإسلامية، وانتقال جزء كبير من مظاهر هذه الحضارة إلى غرب أوربا عن طريق الصليبيين الذين أقبلوا ينهالون ويرتشفون من العلوم التي وصل إليها المسلمون بينما كانوا هم في ظلمات العصور الوسطى[5].

---

[1]- سعيد عبد الفتاح عاشور، أضواء جديدة على الحروب الصليبية، دار القلم، القاهرة، 1964م، ص103.

[2]- المرجع نفسه، ص103.

[3]- محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص169.

[4]- قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، عالم المعرفة، الكويت، (د.ت)، ص172.

[5]- سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص106.

المبحث الثاني: الغزو المغولي ونتائجه:

شهد العالم الإسلامي أوقات عصيبة خلال القرن 7هـ/13م بسبب الغزو المغولي، الذي أدى إلى ظهور نتائج فادحة من تدمير للمدن وقتل للناس دون شفقة ولا رحمة، وأثر أيضا بشكل كبير على الحياة الاجتماعية والاقتصادية وغيرها من المظاهر بالبلاد الإسلامية.

وقد توافق أول ظهور للمغول[1] في البلاد الإسلامية مع الغزو الفرنجي لمصر من 615هـ/1218م إلى 618هـ/1221م، حيث ظهروا على مسرح أحداث التاريخ العالمي في أواخر القرن 6هـ/12م، فبرزوا كقوة عالمية ذات شهرة دولية واسعة النطاق خارج نطاق موطنهم الأصلي "منغوليا" خلال العقدين الأول والثاني من القرن 7هـ/13م[2].

أوضاع المشرق الإسلامي إبان ظهور المغول:

كان العالم الإسلامي خلال الفترة التي بدأ فيها ظهور المغول مقسما إلى مجموعة من الممالك والدويلات والمتمثلة في الدولة الخوارزمية والسلجوقية والخلافة العباسية، والشيء الذي ميز هذه الممالك والدويلات هو الصراع والنزاع مع بعضها البعض من أجل السيطرة والتوسع على حساب الأخرى، يضاف إلى ذلك أن الطائفة الإسماعيلية قد لعبت جانبا معها في هذا الصراع، الأمر الذي شغل الحكام المسلمون فيما بينهم ولم يقدروا خطورة المغول[3].

حملات المغول على المشرق الإسلامي:

بدأ الزحف المغولي على البلاد الإسلامية منذ سنة 615هـ/1218م، حيث كانوا يسعون إلى إسقاط الخلافة العباسية، ففكروا في أفضل طريقة لإسقاطها هي التمركز أولا في منطقة أفغانستان وأوزبكستان حتى تركستان والتي كانت تحت حكم الدولة الخوارزمية، وذلك لأن المسافة ضخمة بين الصين والعراق، ثم الاتجاه نحو العراق

---

[1]- المغول: قبائل تتقاتل فيما بينها، كما كانت تتقاتل مع جيرانها، نشأوا بالهضبة المنغولية شمال صحراء جوبي. **انظر:** فؤاد عبد المعطي الصياد، المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، 1980م، ج1، ص31.

[2]- أمين معلوف، الحروب الصليبية كما رآها العرب، تر: عفيف دمشقية، دار الفارابي، ط1، لبنان، 1989م، ص294.

[3]- محمود سعيد عمران، المغول والأوربيون والصليبيون وقضية القدس، دار المعرفة الجامعية، 2003م، ص15.

وإسقاط الخلافة العباسية، ثم مواصلة زحفهم بعدها نحو بلاد الشام حيث بطشوا بعلماء بلاد كردستان، أفغانستان وبلاد فارس، وتم تدمير ما كان في البلاد من حضارة[1].

1-الغزو المغولي على الدولة الخوارزمية:

بدأت حملات المغول الهجومية على بلاد ما وراء النهر سنة 616هـ/1219م، وبذلك وضع جنكيز خان خطة محكمة حربية هجومية لفتحها، فقام بتكوين أربعة جيوش، كان الأول بقيادة ولده جغتاي وجهه إلى أترار[2] فاستولى عليها بعد مقاومة عنيفة، حيث نهبوا جميع ما في المدينة[3].

أما الجيش الثاني والذي كان بقيادة جوجي بن جنكيز خان توجهوا نحو جند[4] وفعلوا بها كما فعلوا بأترار. في حين توجه الجيش الثالث بقيادة أوكيتاي بن جنكيز خان إلى بناكت[5] وخجند[6] والوادي الأعلى لنهر سيحون، ولم تكن هذه المدن أحسن حظا من سابقاتها. أما الجيش الرابع كان على رأسه جنكيز خان نفسه ومعه ابنه تولوي، قاصدا وسط إقليم ما وراء النهر وخاصة بخارى[7]، فحاصرها وبعدها نهبوا المدينة ومزقوا سكانها[8].

---

[1]- وسيلة فراج، المرجع السابق، ص211.

[2]- أترار: وهي اسم مدينة تقع في أول حدود الترك في بلاد ما وراء النهر. **انظر**: ريهام المستادي، الدولة الخوارزمية ومواجهتها للزحف المغولي، دورية كان التاريخية، ع8، 2010م، ص65.

[3]- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، الدول المستقلة في المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1420هـ/1999م، ص176.

[4]- جند: اسم مدينة عظيمة في بلاد تركستان، بينها وبين خوارزم عشرة أيام تلقاء بلاد الترك مما وراء النهر قريب من نهر سيحون. **انظر**: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص168.

[5]- بناكت: هي مدينة كبيرة بما وراء النهر في الإقليم الرابع، خرج منها طائفة من أهل العلم. **انظر**: ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج1، ص496.

[6]- خجند: مدينة نزيهة ليس بهذا الجانب أطيب منها، وسطها نهر جار والجبل متصل بها، وهي رأس الحد. **انظر**: المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 1411هـ/1991م، ص272.

[7]- فؤاد عبد المعطي الصياد، المرجع السابق، ج1، ص112.

[8]- إسماعيل عبد العزيز الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي، مكتبة الفلاح، ط1، 1404هـ/1984م، ص79،80.

ثم توجه جنكيز خان إلى سمرقند[1] واحتلها وفعل بها كما فعل ببخارى[2] من قتل ونهب وتشريد وأسر، وبسقوط بخارى وسمرقند في أيدي المغول وهما المدينتان الرئيسيتان في بلاد ما وراء النهر، صارت بلاد ما وراء النهر منظمة إلى دولة المغول[3].

أما السلطان محمد خوارزمشاه فقد فر دون منازلة المغول في أي معركة أخرى من المعارك، وبعد وفاته في شوال617هـ/1221م خلفه ولده جلال الدين منكبرتي[4].

وبعدها زحف المغول إلى غزنة[5] إلا أنهم هزموا لأول مرة شر هزيمة، غير أن نصر المسلمين لم يدم طويلا بسبب اختلاف قائدين من قواد جلال الدين حول الغنائم فانسحبا بقواتهما، الأمر الذي أدى إلى اختلال موازين القوى لصالح المغول، فخسر جلال الدين المعركة وعبر نهر السند هاربا[6].

لكن وفاة جنكيز خان سنة 624هـ/1227م أدت إلى انسحاب القوات المغولية الرئيسية التي تحتل أقاليم الدولة الخوارزمية إلى مواطنها الأصلية، وبذلك استرد السلطان جلال الدين منكبرتي ملكه في أقاليم غزنة وخوارزم وطرمان وفارس وخراسان ومازندران[7]، على أن بلاد ما وراء النهر بقيت في أيدي المغول[8].

---

[1]- سمرقند: من أجل البلدان وأعظمها قدرا وأشدها امتناعا وأكثرها رجالا وأشدها بطلا وأصبرها محاربا، وهي في نحو الترك. **انظر**: اليعقوبي، البلدان، المكتبة المرتضية ومطبعتها الحيدرية، 1337هـ/1918م، ص58.

[2]- بخارى: من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها، يعبر غليها من آمل الشط، وبينها وبين جيحون يومان من هذا الوجه، وكانت قاعدة ملك السامانية. **انظر**: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص353.

[3]- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص177.

[4]- إسماعيل عبد العزيز الخالدي، المرجع السابق، ص80،81.

[5]- غزنة: ولاية واسعة في طرف خراسان بينها وبين بلاد الهند. **انظر**: القزوي، آثار البلاد وأخبار البلاد، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص428.

[6]- إسماعيل عبد العزيز الخالدي، المرجع السابق، ص83.

[7]- مازندران: اسم لولاية طبرستان، واسم مازندران إلا اسم محدثا لها. **انظر**: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص41.

[8]- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص183.

وعند تولي أجتاي الحكم قرر استرداد البلاد التي آلت إلى جلال الدين وسير جيشا كبيرا إلى الري، فانتزعها واستولى على همذان[1] سنة 628هـ/1231م، وطارد المغول جلال الدين فهزموه وشردوا رجاله، إلى أن قتل سنة 628هـ/1231م، وبوفاته زالت الدولة الخوارزمية[2].

وبعدها دعوا المغول للقضاء على الطائفة الإسماعيلية وذلك بسبب إدراكهم عند تفكيرهم في إزالة الدولة العباسية ستكون هذه الطائفة شوكة في ظهورهم، وأنها قد تحول بينهم وبين تحقيق أطماعهم في السيطرة على القسم الغربي من العالم الإسلامي[3].

ففي ذي الحجة سنة 653هـ/يناير 1256م أصدر هولاكو أوامره بتوقيف جميع السفن والزوارق وإقامة جسر على نهر جيحون، فعبرت قواته النهر متوجهة إلى قلاع الإسماعيلية، واستطاع بالحيلة مرة وبالقوة تارة أخرى أن يستولي عليها الواحدة تلو الأخرى حتى انتهى من آخر قلاعهم والتي هي قلعة الموت في أواخر سنة 654هـ/1257م، وبعدها استسلم ركن الدين خوارزمشاه لعدم استطاعته مقاومة هولاكو، وبذلك تمكن المغول من الاستيلاء على كل قلاع الإسماعيلية، وهكذا تم في خلال سنة 655هـ/1257م استئصال شأفة الإسماعيلية في هذه المنطقة كليا، وبذلك أصبح الطريق آمنا ومفتوحا إلى بغداد[4].

2-الغزو المغولي للدولة العباسية في العراق:

كان إسقاط الخلافة العباسية من ضمن الأهداف التي يسعى إليها هولاكو، لذلك نجده بعد أن قضى على الطائفة الإسماعيلية، سار لتحقيق هدفه الرئيسي وهو الاستيلاء على بغداد والقضاء على الخلافة العباسية[5].

---

[1]- همذان: مدينة إيرانية تقع في الطرف الشمالي الغربي من جبال زارغوس إلى الشرق من كرمنشاه، والغرب من مدينة قم، هي مدبنة جبلية على طريق الآتي من العراق باتجاه طهران. **انظر**: يحي الشامي، المرجع السابق، ص288.

[2]- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص188.

[3]- إسماعيل عبد العزيز الخالدي، المرجع السابق، ص83.

[4]- الصاوى محمد الصاوى، هولاكو الأمير السفاح، دار طيبة للطباعة، ط1، الجيزة، 2012م، ص172-174.

[5]- إسماعيل عبد العزيز الخالدي، المرجع السابق، ص86.

ففي شهر رمضان سنة 655هـ/1257م أرسل هولاكو إلى الخليفة العباسي أبو أحمد عبد الله المستعصم بالله رسالة يهددها فيها لامتناعه عن إرسال مدد له عندما كان يحارب الطائفة الإسماعيلية، وكانت هذه هي الذريعة التي اتخذها هولاكو لمهاجمة الدولة العباسية[1].

قرر هولاكو تقسيم جيشه إلى ثلاثة أقسام: فكان الجيش الأول سيقوده هو بنفسه، أما الجيش الثاني والذي كان تحت قيادة كتبغا أفضل قواد هولاكو، والجيش الثالث كان على رأسه الزعيم التتري الكبير بيجو، وكانت مهمة هذا الجيش محاصرة بغداد من جميع الجهات[2].

ففي يوم الأحد 4صفر656هـ/10جانفي1258م خرج الخليفة من بغداد وسلم نفسه مع كبار قادة الجيش وكبار الموظفين مع تسليم عاصمته للمغول، فدخل هولاكو المدينة والقصر، وفي تلك الأثناء كانت المذابح مستمرة في جميع أنحاء العاصمة، وتعرض للقتل جميع الناس من نساء وأطفال وكبار السن، وقتلهم أيضا للعلماء وإتلافهم للكتب، وقضوا على كل ما فيها من حضارة وتمدن، واستيلائهم على كل ثروات بغداد من الجواهر والأموال، استمر ذلك ما يقرب أربعين يوما من قتل للناس وحرق للبيوت وتدمير للحضارة والعلم، وبعدها أمر هولاكو بالكف عن القتل وترك بغداد خوفا من انتشار الأمراض بين جنوده، وفي يوم الأربعاء 14صفر656هـ/20فبراير1258م رحل هولاكو من بغداد بسبب عفونة الهواء فيها[3].

[1]- إسماعيل عبد العزيز الخالدي، المرجع السابق، ص86.

[2]- الصاوى محمد الصاوى، المرجع نفسه، ص178.

[3]- أحمد عودات وآخرون، تاريخ المغول والمماليك من القرن السابع الهجري حتى القرن الثالث عشر الهجري، دار الكندي-إربد، 1990م، ص32.

3-الغزو المغولي للدولة المملوكية في الشام:

لم يقف المغول عند حدود العراق بل امتد نفوذهم وسيطرتهم باتجاه بلاد الشام، حيث بدأت حملة المغول على بلاد الشام بالتوجه إلى ميافارقين[1] وماردين[2]، فحاصروهم مدة طويلة، ونظرا لطول الحصار نفذت المؤون وجاع الناس حتى أكل بعضهم بعضا، وبعد هذا سقطت ميافارقين وماردين سنة 657هـ/1259م[3].

وبعدها اتجه هولاكو إلى حلب[4] وحاصرها إلى أن سقطت، حيث قاموا بقتل عدد كبير من الناس، وأسروا نسائها وذريتها ونهبوا أموالها وأحرقوا الجامع الكبير، ثم تقدموا نحو دمشق حيث استسلمت في منتصف جمادى الأولى سنة 658هـ/1260[5].

كان من نتائج سقوط بلاد الشام في أيدي المغول وحلفائهم هو الرعب والخوف الذي عم في سائر أرجائها، لهذا هرب الناس باتجاه الأراضي المصرية، بسبب ذلك الهول الذي خلفه المغول وما حل ببلادهم من دمار وخراب وهلاك[6].

فكانت بداية الاحتكاك بين المماليك والسفارة المغولية التي أرسلها هولاكو إلى مصر في أوائل عام 658هـ/1260م، حيث قرر السلطان قطز قتال المغول، فاختار منطقة عين جالوت بأرض فلسطين خارج دولته للنزال فيها قبل وصولهم إلى الأراضي المصرية وذلك لكونها أفضل مكان لهذه المواجهة الحاسمة، فحشد قطز قواته

---

[1]- ميافارقين: مدينة تركية صغيرة قديمة، اسمها اليوم سيلقان، تقع في شمال شرق ديار بكر، بين دجلة والفرات، فيها آثار مسيحية وإسلامية وفارسية، وعرفت بشهدائها المسيحيين الفرس، وهي تعتمد الزراعة، وبها صناعات محلية يدوية تقليدية. **انظر**: يحي الشامي، المرجع السابق، ص324.

[2]- ماردين: مدينة تركية تقع في الجنوب الشرقي من البلاد إلى الجنوب من ديار بكر، وإلى الغرب من نصيبين على الحدود السورية التركية. **انظر**: يحي الشامي، المرجع نفسه، ص320.

[3]- إسماعيل عبد العزيز الخالدي، المرجع السابق، ص95-97.

[4]- حلب: مدينة عظيمة واسعة الأرجاء كثيرة الخيرات طيبة الهواء والماء، وثاني أكبر المدن السورية في تعداد السكان. **انظر**: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص282.

[5]- إسماعيل عبد العزيز الخالدي، المرجع السابق، ص97،98.

[6]- إيناس حسني البهجي، تاريخ المغول وغزو الدولة الإسلامية، مركز الكتاب الأكاديمي، ط1، الأردن، 2017م، ص390.

وانضم إليه أيضا ما تبقى من القوات الخوارزمية وعساكر المغيث عمر الأمير الأيوبي حاكم إمارة الكرك، حتى أصبحت القوات الإسلامية تفوق أعداد القوات المغولية[1].

تحركت طلائع الجيش المملوكي بقيادة الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري[2] نحو فلسطين، فسار حتى نزل غزة في شعبان 658هـ/يوليو1260م، حيث استطاع ركن الدين بيبرس أن يحقق انتصارا ساحقا على الحامية المغولية في غزة، وكانت هزيمة قاسية لهم وأصبحت غزة ملكا للمسلمين، فكان هذا الانتصار دافعا قويا لتقدم المسلمين إلى الشمال باتجاه عين جالوت لمنازلة المغول[3].

فاشتبك الجيش المملوكي بقيادة ركن الدين بيبرس مع الجيش المغولي بقيادة كتبغا عند عين جالوت في 25رمضان658هـ/سبتمبر1260م، واستمر هذا الاشتباك إلى أن وافاه السلطان قطز بالجيش الرئيسي، حيث حصر كتبغا وجيوشه في داخل سهل عين جالوت. وهكذا استطاع المماليك القضاء على المغول في موقعة عين جالوت[4].

***نتائج الغزو المغولي على البلاد الإسلامية:**

كان للغزو المغولي على الشرق الإسلامي الكثير من الآثار والنتائج على المسلمين والبلاد الإسلامية، فمن أهم نتائج هذا الغزو نذكر:

- ❖ الخراب والدمار الذي ألحقه المغول في البلاد الإسلامية من تخريب للمنشآت العلمية خاصة المكتبات وذلك بإتلاف الكتب وحرقها بالإضافة إلى تدمير المدارس والزوايا، فأدى ذلك إلى تراجع كبير في النشاط الفكري والعلمي عند المجتمعات الإسلامية[5]، حيث عاد الناس للاعتقاد بالخرافات وكثر الجهل، وهكذا انتشرت الصوفية بين الكثير من الناس بشكلها السطحي بعد تلك الأزمات، فقد وجدوا فيها الملجأ المعنوي والروحي

[1]- محمود سعيد عمران، المغول وأوربا، دار المعرفة الجامعية، (د.ت)، ص66.

[2]- ركن الدين بيبرس البندقداري: بيبرس (الأول)، ركن الدين البندقداري العلائي الصالحي، رابع من تسلطن بمصر والشام والمماليك البحرية الأتراك، ولد سنة 625هـ/1228م)، وتوفي سنة (676هـ/1277م). **انظر**: قتيبة الشهابي، المرجع السابق، ص134.

[3]- محمود سعيد عمران، المغول وأوربا، ص67.

[4]- وسيلة فراج، المرجع السابق، ص211.

[5]- عبد الستار مطلك، تأثير الغزو المغولي على الحياة العلمية في بغداد 656هـ/1258م، مجلة مداب الآداب، ع5، (د.ت)، ص493-495.

لهم، وذلك بالهروب وفقدان الأمل في تلك الحياة الدنيا الزائفة الفانية وأملهم في حياة أفضل في الدار الآخرة عن طريق انخراطهم في صفوف المتصوفة[1].

- ❖ الهجرة فرار من المغول حفاظا على حياتهم ورفضهم الخضوع للحكم الأجنبي، وذلك بسبب قتل المغول للناس ونهبهم وتعذيبهم بكل أنواع العذاب واستخراج الأموال منهم، بالإضافة إلى قتل العلماء والأدباء والمفكرين المسلمين وتدميرهم لتراثهم الفكري والعلمي، مما أدى إلى خسارة فادحة في الثقافة الإسلامية[2].
- ❖ توقف الزراعة وتحول الأراضي الزراعية إلى أرض بور بالإضافة إلى كساد التجارة وتوقف الصناعة، أدت إلى توقف الحياة الاقتصادية بالبلاد الإسلامية[3].

[1]- دعاء عبد الرحمن علي محمد مصطفى، الكوارث الطبيعية وأثرها على ذهنيات العامة في إقليم ما وراء النهر في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، مجلة الدراسات التاريخية، ع22، (د.ت)، ص43،44.

[2]- أحمد عبد الكريم سليمان، المغول والمماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس 648-676هـ/1250-1277م، دار النهضة العربية، ط1، 1405هـ/1984م، ص48،49.

[3]- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص177.

المبحث الثالث: الكوارث الطبيعية ونتائجها:

تعرض المشرق الإسلامي خلال القرن 7هـ/13م إلى العديد من الكوارث الطبيعية[1] المدمرة التي أثرت تأثيرا بالغا عليه وعلى المجتمع، من فيضانات وزلازل مدمرة وكذلك الآفات الزراعية والجفاف، وقد حدثت أيضا أنواع مختلفة من الأوبئة والأمراض وكان أشدها فتكا بالناس مرض الطاعون، الذي أدى إلى موت الناس بأعداد كبيرة، زد إلى ذلك الحرائق ومختلف الحوادث الأخرى.

1-الزلازل:

شهد المشرق الإسلامي خلال مرحلة الدراسة المحصورة في القرن 7هـ/13م إلى زلازل متعددة:

ففي سنة (605هـ/16جويلية1208م) حدثت زلزلة عظيمة بنيسابور وخراسان وكان أشدها بنيسابور، حيث خرج أهلها إلى الصحراء أياما إلى أن سكنت وعادوا إلى مساكنهم[2].

ويذكر المقريزي أنه كانت زلزلة عظيمة بمصر والقاهرة هدمت دورا كثيرة، وكذلك بالكرك[3] والشوبك[4] هدمت من قلعتها أبراجا، ومات خلق كثير من الصبيان والنسوان تحت الهدم، وذلك سنة(608هـ/15جوان1211م)[5].

وفي سنة (610هـ/23ماي1213م) حدثت عدة زلازل على سوريا أثناء محاولة الصليبيين على القدس، وبعدها امتدت هذه الزلازل على مصر والجزيرة وبلاد الروم وصقلية وقبرص والعراق وغيرها[6].

---

[1]- الكوارث الطبيعية: هي عبارة عن ظواهر طبيعية مثل الزلازل والفيضانات والأوبئة وغيرها...، وتعتبر حادثة كبيرة تنجم عن خسائر في الأرواح والممتلكات. **انظر**: صالح عبد الرحمن العذل، الكوارث الطبيعية، مجلة العلوم والتقنية، الإدارة العامة للتوعية العلمية والنشر، ع32، الرياض، 1415هـ/1995م، ص4.

[2]- عبد الله يوسف الغنيم، سجل الزلازل العربي أحداث الزلازل وآثارها في المصادر التاريخية، الجمعية الجغرافية الكويتية، ط1، الكويت، 2002م، ص169.

[3]- الكرك: مدينة قديمة كانت قلعة حصينة جدا من طرق الشام من نواحي البلقاء، وهي مشهورة بحصنها الذي يعود إلى عهد المؤابيين. **انظر**: يحي الشامي، المرجع السابق، ص14.

[4]- الشوبك: قلعة حصينة في أطراف الشام بين عمان وأيلة والقلزم قرب الكرك. **انظر**: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، 370.

[5]- المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 1418هـ/1997م، ج1، ص293،294.

[6]- عبد الله يوسف الغنيم، المرجع السابق، ص170.

وفي سنة (622هـ/1226م) ذكر ابن الأثير حدوث زلازل متوسطة بالموصل[1] وديار الجزيرة والعراق وغيرها[2].

وفي (624هـ/22ديسمبر1226م) تكررت هذه الزلازل في الموصل وشهرزور[3] وتكريت[4] لمدة شهر، فهدمت البيوت والقرى والأسوار[5].

أما في مستهل جمادى الآخرة أو آخر جمادى الأولى من سنة (654هـ/1256م) كان ابتداء زلزلة خفيفة أحس بها سكان المدينة المنورة، ثم اشتدت إلى زلزلة عظيمة واستمرت بحدوث دوي أعظم من الرعد، أقام على هذه الحالة يومين، ثم تعقب هذا الصوت زلزلة عظيمة رجفت منها الأرض والحيطان واضطرب المنبر الشريف، حتى أنه وقع في يوم واحد دون ليله ثماني عشرة حركة[6].

في حين كثرت الزلازل في مصر سنة (657هـ/1258م)[7].

ذكر المقريزي ما حدث في (7ربيع الآخر658هـ/21مارس1260م) عندما تم حصار قلعة دمشق، حدثت زلزلة سقطت منها عدة أماكن[8].

أما في سنة (660هـ/26نوفمبر1261م) ذكر القلقشندي ما وقع بالديار المصرية بمصر والقاهرة والوجهين القبلي والبحري والبلاد الشامية "دمشق وصفد[9] والكرك والشوبك وغيرها"، وسواد العراق زلزلة شديدة تساقطت

---

[1]- الموصل: ثالث أكبر المدن العراقية بعد بغداد والبصرة، تقع في شمال العراق على نهر دجلة. **انظر**: يحي الشامي، المرجع السابق، ص81.

[2]- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، اعتناء: أبوصيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، (د.ت)، ج12، ص447.

[3]- شهرزور: كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمذان، وأهل هذه النواحي كلهم أكراد. **انظر**: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص375.

[4]- تكريت: مدينة تقع على شاطئ دجلة إلى الشمال من سامراء، وفي منتصف الطريق المؤدية من بغداد جنوبا إلى الموصل في الشمال. **انظر**: يحي الشامي، المرجع السابق، ص73.

[5]- عبد الله يوسف الغنيم، المرجع السابق، ص171.

[6]- المرجع نفسه، ص171-178.

[7]- المرجع نفسه، ص179.

[8]- المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ص513.

[9]- صفد: مدينة جبلية في الجليل الشمالي على سفح جبل الجرمق الجنوبي، وعند الطرف الجنوبي الغربي لبحيرة الحولة تشرف لجهة الشرق على مجرى نهر الأردن. **انظر**: يحي الشامي، المرجع السابق، ص99،100.

فيها الأبنية وتشققت الجبال وتقطعت الصخور وتفجرت الأرض عيونا فخرج الناس من مساكنهم هاربين إلى الصحاري، وظهر أثرها في النيل، ونتج عنها تحطم القوارب والسفن وتهدمت الجدران ومنارات الجوامع، ووقع جانب عظيم من مقام الإسكندرية[1].

وفي (رمضان661هـ/9جويلية1263م) حدثت زلزلة عظيمة بالموصل، حيث انشق الشط الذي يمر بضيعة دار بتيا وخربت أكثر دورها، كما حدث في هذه السنة زلزلة عظيمة بمدينة أرزنكان (أرمينية) هدمت معظمها[2].

في حين ذكر المقريزي الزلزلة العظيمة التي هدمت عدة أماكن بمصر، والتي كانت يوم (20ربيع الآخر سنة622هـ/20فيفري1264م)[3].

وفي سنة (666هـ/22سبتمبر1267م) وقعت بنيسابور زلازل هلكت منها خلق كثير، فخرجوا الناس إلى البراري إلى غاية سكون ذلك ثم عادوا إلى منازلهم[4]. وفي نفس هذه السنة حصل في بلاد سيس[5] عدة زلازل نجم عنها خراب قلعة سرفند وعدة قلاع، وهلك كثير من الناس حتى سار النهر دما وتلفت عدة جهات[6].

وقعت زلزلة في بلاد الأرمن سنة (669هـ/أفريل1271م)، أدت إلى خراب قلاعا كثيرة، بالإضافة إلى موت ألف نفر[7].

حدوث زلزلة بأخلاط واتصلت بديار بكر[8] وذلك سنة (674هـ/27جوان1275)[9].

---

[1]- القلقشندي، مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تح: عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب، بيروت، (د.ت)، ج2، ص114،115.

[2]- عبد الله يوسف الغنيم، المرجع السابق، ص181.

[3]- المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2، ص6.

[4]- عبد الله يوسف الغنيم، المرجع السابق، ص181.

[5]- بلاد سيس: بلد هو اليوم أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس على عين زربة. **انظر:** ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص297،298.

[6]- المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2، ص59.

[7]- عبد الله يوسف الغنيم، المرجع السابق، ص182.

[8]- ديار بكر: مدينة تركية في جنوب البلاد، قريبة من ماردين ونصيبين على الحدود السورية التركية، وبالقرب منها إلى الجهة الشرقية يمر نهر دجلة. **انظر:** يحي الشامي، المرجع السابق، ص314.

[9]- عبد الله يوسف الغنيم، المرجع السابق، ص182.

أما في سنة (686هـ/1287م) حدثت زلازل عظيمة في بلاد الشام، حيث ضربت مدينة صفد في (15محرم/2مارس)، وبعدها ضربت مدينة حمص في (21محرم/8مارس) في نفس السنة[1]، وفي ليلة (السبت5صفر/21مارس) نفس السنة جاءت زلزلة عظيمة في جهة اللاذقية[2] هدمت أكثر برجها الذي في وسط البحر، فهدمت الزلزلة منه ربعه، وهدمت برج الحمام، ومكان القنديل الذي يستضاء به منها ويستدل به في البحر، بحيث كانت زلزلة عظيمة شديدة[3].

في حين ذكر المقريزي ما حدث خلال (صفر692هـ/11جانفي1293م) بغزة والرملة[4] ولد[5] والكرك من زلازل عظيمة هدمت ثلاثة أبراج من قلعة الكرك، وزلزلت أيضا البلاد الساحلية، فانهدمت عدة أماكن[6].

وفي سنة (693هـ/2ديسمبر1293م) أثرت زلزلة في سائر إقليم مصر، ولكنها كانت أخف مما حدث في جامع القاهرة[7].

وفي (3ربيع الآخر698هـ/8جانفي1299م) حدثت زلزلة شديدة لم تعهد من قبل في مصر، ولحقتها مجموعة من الهزات الضعيفة[8].

---

[1]- محمد حمزة محمد صلاح، الكوارث الطبيعية في بلاد الشام ومصر (491-923هـ/1097-1517م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار، الجامعة الإسلامية، غزة، 1430هـ/2009م، ص73،74.

[2]- اللاذقية: مدينة في ساحل بحر الشام تعد في أعمال حمص وهي غربي جبلة بينهما ستة فراسخ، وهي الآن من أعمال حلب. **انظر**: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص5.

[3]- عبد الله يوسف الغنيم، المرجع السابق، ص183،184.

[4]- الرملة: تقع الرملة إلى الجنوب الغربي من اللد، وهي في سهل منبسط فسيح على الطريق الرئيسية الآتية من حيفا وتل أبيب بإتجاه بيت جيرين فبئر السبع، وباتجاه عين كارم فالقدس. **انظر**: يحي الشامي، المرجع السابق، ص98.

[5]- لد: قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين. **انظر**: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص15.

[6]- المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2، ص239،240.

[7]- عبد الله يوسف الغنيم، المرجع السابق، ص185.

[8]- المرجع نفسه، ص185.

2-السيول والفيضانات:

تعرض المشرق الإسلامي خلال 7هـ/13م لعدد كبير من الفيضانات:

ففي سنة (604هـ/1207م) زادت دجلة زيادة كبيرة، ودخل الماء في خندق بغداد من ناحية باب كلوذا، فخيف على البلد من الغرق[1].

وفي سنة (614هـ/1217م) زادت دجلة أيضا زيادة عظيمة[2]، لم يكن مثلها في قدم الزمان وأشرفت بغداد على الغرق، حيث خرب هذا الفيضان الكثير من الجانب الغربي فغرق مشهد أبي حنيفة وبعض الرصافة، وجامع المهدي وقرية الملك، حيث انقطعت الصلاة في جامع السلطان، وخربت البساتين ومشهد باب التبن، ومقبرة أحمد بن حنبل والحريم الطاهري، وبعض باب البصرة[3].

أما في سنة (634هـ/1236م) ذكر الذهبي حدوث سيل عرم قدر قامة وبسطة بدمشق، أدى إلى تخريب الخانات والدور التي بالعقيبة من شمالي باب الفرج[4].

وفي سنة (637هـ/1239م) حدثت السيول أيضا بمدينة دمشق بسبب هطول الأمطار الغزيرة، مما أدى إلى إلحاق أضرار كبيرة بالممتلكات[5].

---

[1]- الملك الأشرف الغساني، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تح: شاكر محمود عبد المنعم، دار التراث الإسلامي، لبنان، 1395هـ/1975م، ج1، ص323.

[2]- ابن الجوزي، مناقب بغداد، مطبعة دار السلام، بغداد، 1342هـ، ص34.

[3]- الملك الأشرف الغساني، المصدر السابق، ج1، ص357،358.

[4]- الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط1، لبنان، 1418هـ/1998م، ج46، ص18.

[5]- محمد حمزة محمد صلاح، المرجع السابق، ص227.

وفي سنة (641هـ/1243م) زادت دجلة زيادة مفرطة، أغرقت مواضع كثيرة، ونبع الماء في المدرسة النظامية ودخل بيوتها، وكذلك ما جاورها[1]. وفي نفس هذه السنة حدث فيضان في مدينة دمشق، ووصلت مياهه إلى مسجد العقيبة[2].

أما في سنة (646هـ/1248م) حدث فيضان نبع الماء فيه من أساس حائط المدرسة المستنصرية، ومن مسجد الحظائر المعروف بأم الناصر، ووصل الماء إلى البدرية ودار الخليفة والريحانيين ودار الوزير وباب العامة، ودخل الماء جامع المنصور في الجانب الشرقي من بغداد، وتعرض أيضا جامع الحربية للغرق فخرب، وقام الماء في المدرسة النظامية ستة أذرع[3].

زادت دجلة في سنة (651هـ/1253م) زيادة عظيمة غرق بها الكثير من المزروعات، وتواترت الغيوث حتى ملأت البلاليع، وصار الماء في الدروب كالغدران[4]. كما زادت في سنة (652هـ/1254م) أدت إلى الغرق فهلك خلق كثير[5].

وفي سنة (653هـ/1255م) حدث سيل بدمشق، حيث بلغ ارتفاع الماء بسوق الفاكهة بمنطقة الصالحية ستة أذرع[6].

أما في سنة (654هـ/1256م) حدث فيضان كبير ببغداد أدى إلى غرق عظيم، حتى دخل الماء فيها وأحاط بسورها ووصل إلى الشرفات، وغرقت مسناة مسجد الحظائر (مسجد أم الناصر)، حيث غرق كثير من البلد في ذلك الفيضان، فانهدمت دار الوزير وثلاث مائة وثمانون دارا، وانهدم أيضا مخزن الخليفة وغرقت خزائنه[7].

---

[1]- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، المكتبة العربية، بغداد، 1351هـ، ص186.

[2]- محمد حمزة محمد صلاح، المرجع السابق، ص227.

[3]- رائد محمد حامد، تأثير الفيضانات على سجون بغداد في العصر العباسي، مجلة كلية العلوم الإسلامية، مج7، ع13، 1434هـ/2013م، ص10.

[4]- ابن الفوطي، المصدر السابق، ص267.

[5]- رائد محمد حامد، المرجع السابق، ص11.

[6]- ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مكتبة القدسي، 1351هـ، ج5، ص260.

[7]- رائد محمد حامد، المرجع السابق، ص11،12.

وفي سنة (669هـ/1271م) حدث سيل عظيم في مدينة دمشق خلف خسائر بشرية كبيرة قدرها المؤرخون بعشرة آلاف نفس[1].

وفي (صفر671هـ/أوت1272م) حدثت السيول في بلاد الشام بسبب الأمطار الغزيرة، وكان أشدها الذي حدث في مدينة حمص، حيث خرب السيل بها عدة منازل، وقضى على مجموعة كبيرة من السكان[2].

أما المقريزي ذكر ما حدث في سنة (683هـ/1284م) من مطر شديد أدى إلى هدم عدة مساكن بدمشق وظواهرها، فتلف للناس ما لا يحصى[3].

وفي ليلة (4محرم686هـ/18فيفري1287م) أمطرت المدينة النبوية مطرا عظيما أدت إلى سقوط سقوف المسجد النبوي والحجرة الشريفة، وخربت عدة دور وتلف نخل كثير من السيول[4].

أما في سنة (692هـ/1299م) حدثت أمطار غزيرة في مدينة الرملة أدت إلى حدوث سيل عظيم، فزادت المياه في نهر العوجا ففاض وأحدث أضرارا متفاوتة في المنطقة[5]. كما حدث في نفس هذه السنة فيضان في بعلبك[6] بسبب أمطار وسيول خارجة عن الحد[7].

وفي سنة (699هـ/1299م) حدث سيل في قرية قرتيا[8] بفلسطين، نتج عنه إتلاف مجموعة كبيرة من العتاد العسكري للجيش المملوكي المتواجد في تلك المنطقة[9].

---

[1]- محمد حمزة محمد صلاح، المرجع السابق، ص227،229.

[2]- المرجع نفسه، ص229.

[3]- المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2، ص185.

[4]- المصدر نفسه، ص199.

[5]- محمد حمزة محمد صلاح، المرجع السابق، ص230.

[6]- بعلبك: مدينة بقاعية واقعة في قلب سهل البقاع الغني بمحاصيله الزراعية وغلاته الوافرة، وتحيط بها من الشرق والغرب سلسلتا جبال لبنان الشرقية والغربية. **انظر**: يحي الشامي، المرجع السابق، ص118.

[7]- المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2، ص241.

[8]- قرتيا: بلد قرب بيت جبرين من نواحي فلسطين، من أعمال البيت المقدس. **انظر**: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص320.

[9]- محمد حمزة محمد صلاح، المرجع السابق، ص231.

3-الحرائق:

تعرض المشرق الإسلامي خلال مدة الدراسة لعدة حرائق أدت لخسائر مختلفة:

ففي سنة (681هـ/1282م) وقعت نار بدمشق أقامت ثلاثة أيام، فاحترق منها كل شيء بالإضافة إلى خسارة خمسة عشر ألف مجلد سوى الكراريس[1].

واحترقت أيضا الخزانة السلطانية والقاعة الصالحية من قلعة الجبل في (6ذي الحجة684هـ/1فيفري1286م)[2].

أما في ليلة (الإثنين16محرم687هـ/20فيفري1288م) وقع حريق بخزائن السلاح والمشهد الحسيني بالقاهرة[3].

وفي (14صفر691هـ/4فيفري1292م) نشب حريق في بعض خزائن قلعة الجبل، تلف فيها كثير من الكتب وغيرها[4].

4-الأوبئة والطواعين والموتان:

شهد المشرق الإسلامي حدوث جوائح عدة من الأوبئة والطواعين والموتان خلال القرن 7هـ/13م:

ففي (ذي الحجة611هـ/1215م) تفشي وباء بمصر، لكنه لم يذكر مدى فتكه بالأرواح، أو حدد تاريخا لتوقفه[5].

أما في (ربيع الأول615هـ/ماي1218م) ذكر ويندوفر انتشار أمراض وأوبئة بين صفوف جنود الصليبيين، حيث قال: "وفي هذه الآونة جرت مهاجمة الكثيرين من جيش الصليبيين بأشد الأمراض، وهو مرض عجز الأطباء

[1]- المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2، ص163.

[2]- المصدر نفسه، ج2، ص190.

[3]- المصدر نفسه، ج2، ص204.

[4]- المصدر نفسه، ج2، ص233.

[5]- محمد حمزة محمد صلاح، المرجع السابق، ص136.

بفنهم عن إيجاد علاج له، لأن الآلام هاجمت بشكل مفاجئ الأقدام والأرجل، حيث ظهر الجلد عليهما فاسدا وأسود، وفي اللثة والأسنان إنتزع عنصر أسود القدرة على الأكل، وغادرت أعداد كبيرة بعدما هوجمت بهذا المرض، وبعدما تألمت وقتا طويلا إلى الرب"[1].

وفي سنة (630هـ/1232م) كان بدمشق وحمص من الوباء والموت والأمراض ما لا يعبر عنه ولا سمع بمثله[2].

أما في سنة (633هـ/1235م) انتشر وباء كثير بمصر أدى إلى موت خلق كثير بالقاهرة ومصر، حيث بلغت عدتهم زيادة على اثني عشر ألفا[3]. واستمر هذا إلى سنة (634هـ/1236م)، حيث قال المقريزي: "كان الوباء أشد من السنة الماضية"[4].

وفي (صفر647هـ/جوان1249) تفشي الوباء بين صفوف جيش الصليبيين، وعلى الأغلب كان ذلك نتيجة تعفن جثث الموتى الذين سقطوا في معركة الحملة الصليبية السابعة، أدى إلى ازدياد انتشار حدة هذا الوباء إلى درجة خطيرة[5].

أما في سنة (656هـ/1258م) عندما احتل التتار بغداد وارتكبوا فيها مجزرة رهيبة واستمرارها لأربعين يوما راح ضحيتها الآلاف من الناس، فكان نتيجة ذلك فساد الهواء في العراق أدى إلى انتشار الوباء، وبعدها انتقل إلى الشام فمات عدد كبير من الناس[6]، وفي صدد هذا قال المقريزي: "كثر الوباء ببلاد الشام وكان يموت من حلب في كل يوم ألفا ومائتا إنسان، ومات من أهل دمشق خلق كثير"[7].

---

[1]- روجر أوف ويندوفر، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تح وتر: سهيل زكار، دمشق، 1421هـ/2000م، ج39، ص761.

[2]- ابن نظيف الحموي، التاريخ المنصوري، تح ومرا: أبو العيد دو دو وعدنان درويش، مطبعة الحجاز، دمشق، 1401هـ/1981م، ص257،258.

[3]- محمد حمزة محمد صلاح، المرجع السابق، ص137.

[4]- المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ص378.

[5]- محمد حمزة محمد صلاح، المرجع السابق، ص137،138.

[6]- المرجع نفسه، ص112.

[7]- المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ص499.

وفي سنة (672هـ/1273م) مات عدد كبير من النساء والأطفال بمصر وأريافها نتيجة انتشار هذا الوباء، كما حصل مرض وحميات في بلاد الرملة وبلاد القدس[1].

أما في سنة (685هـ/1286م) انتشر موت الأبقار بأرض مصر، حتى إن شخصا مات له ثلاثمائة وأربعين رأسا في نحو شهر[2].

في حين اشتدت حدة انتشار هذا الوباء بديار مصر، فكان يموت كل يوم ألوف، ويبقى الميت مطروحا في الأزقة والشوارع ملقى في الممرات والقوارع ليوم ويومين لا يوجد من يدفنه، لاشتغال الأصحاء بأمواتهم والسقماء بأمراضهم، وهذا سنة (694هـ/1295م)[3].

5-العواصف والأعاصير والصواعق:

كما لم يسلم المشرق الإسلامي من العواصف والأعاصير والصواعق:

ففي سنة (602هـ/1205م) هبت رياح عاصفة في البحر المتوسط مقابل بلاد الشام، حيث رمت بهم إلى بلاد أخرى قريبة من مدينة طرابلس[4].

وفي (ذي الحجة667هـ/أوت1269م) هبت عواصف شديدة على بلاد الشام ومصر، وصحبت هذه العواصف صواعق شديدة أدت بأضرار متفاوتة في المزروعات في بلاد الشام، أما على مصر أدت إلى إغراق حوالي 200 مركب كانت سائرة في نهر النيل نتج عنها إهلاك عدد كبير من الناس[5].

أما في (رمضان677هـ/جانفي1278م) هبت عاصفة شديدة على مدينة صفد، صحبها حدوث صواعق أصابت إحداها مسجد المدينة[6].

---

[1]- محمد حمزة محمد صلاح، المرجع السابق، ص112.

[2]- المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2، ص194.

[3]- المصدر نفسه، ج2، ص261.

[4]- ابن أبيك الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، تح: سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، 1391هـ/1972م، ج7، ص159.

[5]- محمد حمزة محمد صلاح، المرجع السابق، ص243.

[6]- المرجع نفسه، ص243.

وفي يوم (الثلاثاء9ذو الحجة679هـ/31مارس1281م) هبت رياح على مصر، وكانت مع هذه العواصف صواعق شديدة، خاصة التي حدثت في مدينة القاهرة والإسكندرية[1].

تعرضت مدينة حمص لإعصار شديد يوم (الخميس14صفر685هـ/10أفريل1286م) ألحق بها عدة أضرار، فهلك أشخاص كثيرين[2].

وفي سنة (692هـ/1293م) جاءت ريح عاصف على مدينة القاهرة طبقت الأرض، فقلعت سائر الخيام من السوق، ونهبت أشياء عديدة[3]. كما حدث في نفس هذه السنة عاصفة أخرى شديدة على ركاب حجاج الركب الشامي وهم في طريق عودتهم بالقرب من مدينة معان، حيث حملت بعض الجمال من شدة قوتها، بالإضافة إلى موت مجموعة من الناس، وفساد أمتعة وثياب البعض منهم[4].

أما في سنة (695هـ/1295م) هبت ريح سوداء مظلمة في كافة أنحاء مصر، أدت إلى إلحاق أضرار فادحة بالمزروعات، وأعقب ذلك أمراض اعترت الناس وحمى مزعجة[5]. وفي نفس هذه السنة وقعت صاعقة على قبة زمزم، فقتلت الشيخ علي بن محمد عبد السلام مؤذن الحرم وهو يؤذن على سطح القبة[6].

كما حدثت عاصفة شديدة في البحر المتوسط مقابل سواحل مدينة بيروت، وذلك في (شعبان698هـ/ماي1299م)، كانت نتائجها إغراق بعض سفن الصليبيين الذين كانوا يحاولون مهاجمة بيروت في ذلك الوقت[7].

---

[1]- محمد حمزة محمد صلاح، المرجع السابق، ص262.

[2]- المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2، ص193.

[3]- بدر الدين محمود العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تح: محمد محمد أمين، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1431هـ/2010م، ج3، ص169.

[4]- محمد حمزة محمد صلاح، المرجع السابق، ص244.

[5]- بدر الدين محمود العيني، المصدر السابق، ج3، ص300.

[6]- المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2، ص268.

[7]- ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، تح: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 1419هـ/1998م، ج1، ص151،152.

6-الجفاف والآفات الزراعية (الجراد):

أ-الجفاف والمجاعات:

شهد المشرق الإسلامي خلال القرن 7هـ/13م موجات عنيفة من الجفاف، تلتها في أحيان كثيرة حدوث مجاعات:

ففي سنة (622هـ/1225م) انحبست الأمطار في بلاد الشام والعراق، فحدث الجفاف[1].

كما انخفض مستوى نهر النيل في سنة (628هـ/1230م)، أدى إلى حدوث جفاف في مصر[2].

أما في سنة (643هـ/1246م) حدثت مجاعة في مدينة دمشق نتيجة حصار الخوارزمية لها[3].

وفي سنة (660هـ/1262م) اشتد غلاء الأسعار في بلاد الشام بشكل كبير جدا، فنتج عن ذلك انتشار المجاعات، مما تسببت في قتل كثير الناس من الجوع[4].

ذكر المقريزي ما حدث في سنة (662هـ/1263م) من مجاعة في مصر، حيث اشتد فيها حال الناس مما أدت بهم إلى أكل ورق اللفت والكرنت ونحوه، وخرجوا إلى الريف لأكل عروق الفول الأخضر[5]، وربما كان السبب الرئيسي لهذه المجاعة هو انخفاض مستوى نهر النيل[6].

وفي سنة (674هـ/1276م) حدث جفاف في مدينة دمشق، حيث استسقى أهلها مرتين لكن لم يسقوا[7].

---

[1]- محمد حمزة محمد صلاح، المرجع السابق، ص183.

[2]- المرجع نفسه، ص204.

[3]- المرجع نفسه، ص183.

[4]- المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ص545.

[5]- المصدر نفسه، ج2، ص5.

[6]- محمد حمزة محمد صلاح، المرجع السابق، ص204.

[7]- المرجع نفسه، ص184.

كما انحبست الأمطار في بلاد الشام، فحدث نقص شديد في المياه بالمنطقة، وخاصة مدينة دمشق مما جعل الناس يخرجون للاستسقاء، وذلك سنة (680هـ/فيفري1282م)[1].

أما في سنة (694هـ/1295م) تأخر المطر بدمشق وبلاد حوران[2] في فصل الشتاء، فأدى ذلك إلى ارتفاع أسعار المواد الغذائية بشكل كبير، وظهور القحط في الأرض فقل العشب والمرعى في أرض الشام[3]. وفي نفس السنة انخفض مستوى نهر النيل، أدى إلى حدوث جفاف في مصر، وتلته مجاعة، واستمرت هذه المجاعة إلى سنة (695هـ/1296م)، نتج عنها موت الكثير من الناس[4].

وفي سنة (697هـ/1297م) حدث جفاف في بلاد الشام وكان أشده في مدينة دمشق والقدس[5].

ب-الآفات الزراعية (الجراد):

تعرض المشرق الإسلامي خلال القرن 7هـ/13م لمخاطر مختلف الآفات الزراعية من غارات أسراب الجراد وبعض الطيور، وهجوم قطعان الفئران:

ففي سنة (619هـ/1222م) ظهر في بلاد الشام كثير من الجراد لم يألفوه، وكانوا يأكلون المزروعات والأشجار والتمور[6].

وفي سنة (620هـ/1223م) عم الجراد في بلاد العراق والجزيرة وديار بكر والشام، فأتلف الكثير من المحاصيل والخضروات[7].

---

[1]- محمد حمزة محمد صلاح، المرجع السابق، ص185.

[2]- بلاد حوران: كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة، ذات قرى كثيرة ومزارع وحرار. **انظر**: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص317.

[3]- ابن الجزري، المصدر السابق، ج1، ص280.

[4]- محمد حمزة محمد صلاح، المرجع السابق، ص204.

[5]- المرجع نفسه، ص185.

[6]- المرجع نفسه، ص193.

[7]- الملك الأشرف الغساني، المصدر السابق، ج1، ص395.

في حين ذكر المقريزي مهاجمة الفئران لمنطقة حوران سنة (659هـ/1261م)، حيث قال: "عظم الفأر في أرض حوران أيام البيادر حتى أكل معظم الغلال، فيقال إنه أكل ثلاثمائة ألف غرارة قمح"[1].

كما هاجمت الفئران أيضا أرض مصر في سنة (696هـ/1296م) أدى ذلك إلى إتلاف الكثير من المحاصيل الزراعية، وعادت بعدها سنة (698هـ/1298م)[2].

وفي سنة (699هـ/1299م) هاجم الجراد منطقة قرتيا بفلسطين، فقال المقريزي عن هذا: "خرج جراد سد الأفق بحيث حجز الأبصار عن السماء"[3].

***نتائج وآثار الكوارث الطبيعية على المشرق الإسلامي:**

خلفت الكوارث الطبيعية التي عرفها الشرق الإسلامي خلال القرن 7هـ/13م العديد من الويلات والآثار العميقة على كل من عاصرها وامتدت حتى إلى الأجيال القادمة، فتلك النتائج التي خلفتها لم تكن مقتصرة فقط على ما هو ظاهر كالجانب المادي والعمراني والاقتصادي، وإنما شملت أيضا الجانب الاجتماعي والفكري وحتى العقائدي، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على خطورة هذه الكوارث خاصة وأنها تزامنت مع فترات عصيبة عاشها المسلمون من تمزق سياسي وانحلال أخلاقي واجتماعي، بالإضافة إلى الحروب الصليبية والغزوات المغولية وما خلفتها هي الأخرى من نكبات، لتستنزف الكوارث الطبيعية ما بقي للمسلمين من قوى، ويمكن تلخيص نتائج هذه الكوارث فيما يلي:

- ❖ تدمير الكوارث الطبيعية للآثار العمرانية وتضرر عدد كبير من المعالم العمرانية مختلفة من مساجد وكنائس ومدارس وأسوار وقلاع وأبراج ومبان سكنية وغيرها من المرافق العامة، مما كان له أسوأ الأثر على الجانب الحضاري للإنسان[4].

[1]- المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ص525.

[2]- محمد حمزة محمد صلاح، المرجع السابق، ص211.

[3]- المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2، 318.

[4]- محمد حمزة محمد صلاح، المرجع السابق، ص282.

- ❖ إحداث خلل كبير في النظام الاقتصادي للدولة مما أدى إلى إلحاق أضرار فادحة بالقطاع الزراعي والصناعي والتجاري، وأدى أيضا إلى تضرر الثورة الحيوانية والسمكية بشكل كبير، وكان للكوارث تأثير مباشر على غلاء أسعار مختلف المواد الغذائية وغيرها من السلع[1].

- ❖ التحول الاجتماعي أو ما يطلق عليه اسم الحراك الاجتماعي، كان من أهم النتائج المترتبة عن تلك الكوارث حيث تحول الكثير من الناس من الغنى إلى الفقر مما كان له آثاره على ذهنيات أولئك الناس، وذلك بالهروب وفقدان الأمل في الحياة الدنيا الزائفة الفانية فلم يبق أمامهم سوى الأمل في حياة أفضل في الدار الآخرة[2].

ومن هذا المنطلق انخرط الكثير من الناس في صفوف الزهاد والمتصوفة ومال البعض الآخر إلى الفكر الخرافي الذي يحاول أن يجابه القوى الخارقة للطبيعة بقوى على نفس قدرها أو أقوى منها يستطيع هو التحكم فيها وتتمثل هذه القوى في السحر والشعوذة.

وهو ما دفع بالكثير من المؤرخين والباحثين إلى إرجاع إقبال العامة في الانخراط في صفوف المتصوفة بسبب العوامل الاقتصادية السيئة[3].

- ❖ كما لا يمكن التغافل وتجاهل ما كان للكوارث الطبيعية من آثار سياسية عدة، إذ أنها كانت تحسم نتائج بعض المواجهات العسكرية لصالح طرف على حساب الآخر[4].

هذا باختصار أهم نتائج الكوارث الطبيعية على المشرق الإسلامي التي ساهمت بقسط كبير في تدهور أوضاع المسلمين في تلك الفترة.

إذن نستنتج مما سبق ما تعرض له المشرق الإسلامي خلال القرن 7هـ/13م من نكبات عدة متمثلة في الحروب والفتن والتخريب المتعمد بالإضافة إلى الكوارث الطبيعية، حيث كان لهذه الحوادث أثر كبير على موت الحضارة بزوال العديد من الدول الإسلامية التي كان لها شأن عظيم في مختلف الجوانب الحضارية.

---

[1]- محمد حمزة محمد صلاح، المرجع السابق، ص297.

[2]- دعاء عبد الرحمن علي محمد مصطفى، المرجع السابق، ص43.

[3]- المرجع نفسه، ص45.

[4]- محمد حمزة محمد صلاح، المرجع السابق، ص338.

الفصل الثامن

المبحث الأول: مكانة الصوفية في المجتمع:

اهتم الحكام بالعلماء ورجال الدين خاصة الصوفية منهم نظرا لصلة الوثيقة بين الدين والسياسة ومدى تأثيرهم على الحياة العامة للمجتمع، لأنه كانت فقد كان القرن السابع هجري/الثالث عشر ميلادي مسرحا للكثير من الأحداث والأزمات المتمثلة في الغزو الصليبي والمغولي والكوارث الطبيعية، مما أدى إلى تفشي الجهل والبطالة والآفات الاجتماعية والأمراض والأوبئة والانحلال الأخلاقي بين طبقات المجتمع المختلفة.

1-علاقة الصوفية بالسلطة:

اعتمدت الدولة الأيوبية كثيرا على المتصوفة بسبب علاقتهم وشعبيتهم بين الناس وحرصت كثيرا على ولائهم لتقوية الجبهة الداخلية ضد العدو الخارجي، لأن المتصوفة في ذلك الوقت كان لهم تأثيرا قوي على عامة الناس بسبب النزعة الدينية القوية التي كانت عندهم رغم كل الظروف، فلقد اعتمدت الدولة الأيوبية على المتصوفة حتى في بعض المسائل المهمة بالاستشارة والاستعانة برأيهم حيث أنه ورد عن صلاح الدين الأيوبي أنه خلال المعارك كان يصحب علماء الصوفية لأخذ الرأي والمشورة فضلا على التحفيز الذي يبثونه في نفوس المريدين للقتال ببسالة وشجاعة نادرة[1].

ويذكر ابن إياس في بدائع الزهور عند حديثه عن صلاح الدين أنه هو أول من اتخذ قيام المؤذنين في أواخر الليل وطلوعهم إلى المؤذن للتسبيح حتى يطلع الفجر[2]، كما كان يحضر عنده الفقراء والصوفية ويعمل لهم السماع فإذا قام أحدهم لرقص أو السماع[3] يقوم له فلا يقعد حتى ينتهي[4]، ومن أهم ما قام به صلاح الدين للمتصوفة لجذبهم للمصر أنه أنشأ لهم خانقاه ووقف عليها أوقافا كثيرة وكان أهلها يعرفون بالعلم والصلاح الهدف منها إعدادهم إعدادا تربويا نفسا للجهاد ضد الصليبيين، والهدف الآخر هو الحرص على تطهير الناس من الأفكار الباطنية

---

[1]- شوكت عارف، محمد أحلام عابد حسين، الدور السياسي والجهادي للصوفية في العصر الأيوبي (567-648هـ/1171-1250م)، مجلة جامعة زاخو فاكتولي للعلوم الإنسانية، ع1، 2015م، ص118.

[2]- ابن إياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تر: محمد مصطفى، الهيئة المصرية للكتاب، ط2، القاهرة، 1982م، ج1، ص282.

[3]- السماع: هو سماع القرآن الكريم أو قصائد الشعر بنغمة طيبة تؤثر في المستمعين إلى درجة البكاء. **أنظر**: عبد الرزاق محمود، المعجم الصوفي، دار ماجد عسيري، ط1، جدة، 2004م، ج2، ص778.

[4]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج12، ص97.

الفاطمية وغرس فيهم القيم الصوفية السنية وإلى جانب اهتمامهم بالصوفية في مصر كان لهم اهتمام بيهم أيضا في الشام فعندما ذهب صلاح الدين الى مصر ترك لهم منزله (خانقاه للصوفية) في الشام كان لها نفس الهدف هي توعية الناس تربويا ونفسيا لحشد النفوس ضد العدو الصليبي وتحرير المسجد الأقصى فقد كان لابد توحيد صفوف المسلمين مما دفع صلاح الدين ببناء والإكثار من الخانقاوات الصوفية حتى تكون له عونا من بعد عون الله في الجهد الجاد الذي يقوم به الصوفية في حشد الناس للجهاد في سبيل تحرير القدس من براثن العدو[1].

نذكر مثلا ففي سنة (626هـ/1228م) عندما قام الملك الكامل بتسليم القدس للصليبيين مما حدا بالواعظ الشهير الشيخ شمس الدين أبي الفرج بن الجوزي البغدادي الصوفي (ت655هـ/1257م) إلى التشنيع عليه وقيامه بتأليب الناس عليه وعقد مجلس وعظ بدمشق ذكر فيه فضائل بيت المقدس وماحل بالمسلمين من تسليمه للفرنج[2]، وكان من كلامه: "وانقطعت من البيت المقدس وفود الزائرين يا وحشة المجاورين كم كانت لهم في تلك الأماكن من ركعة وكم جرت لهم على تلك المساكن من دمعة وطلب منه الملك المعظم وعظ أهل دمشق للدب عن أملاكهم فأجابوه لذلك بالأرواح والأموال"[3].

وأيضا لعب البعض من مشايخ الصوفية دور المصلح بين أفراد البيت الأيوبي، حيث كانت كلمتهم مسموعة فعملوا على إرساء دعائم السلام الداخلي وكان يتم ذلك أحيانا بإيعاز من الخلافة العباسية أو من الأيوبيين أنفسهم، فمثلا أوكل الملك الكامل إلى الفقيه الزاهد محمد بن الحسين بن عبد الرحمان الأنصاري (ت633هـ/1235م) مهمة إصلاح ذات البين مع أخيه الملك الأشرف موسى. وكان الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي أحمد المعتمدين من قبل الخلافة العباسية في علاقتها مع الأيوبيين ببلاد الشام ومصر[4].

وقد دفع ابن شيخ الشيوخ عماد الدين أبو الفتح عمر بن صدر الدين (ت638هـ/1238م) حياته من أجل الصلح بين ملوك البيت الأيوبي سعى عماد الدين من أجل بقاء دمشق للملك الجواد مظفر الدين يوسف بن

---

[1]- شوكت عارف، محمد أحلام عابد حسين، المرجع السابق، ص119.

[2]- المرجع نفسه، ص119.

[3]- آسيا سليمان نقلي، دور الفقهاء والعلماء والمسلمين في الشرق الأدنى في الجهاد ضد الصليبيين خلال الحركة الصليبية (489/620هـ)، مكتبة العبيكان، ط1، الرياض، 1423هـ/2002م، ص197.

[4]- ابن الجزري، المصدر السابق، ج1، ص174.

مودود بن العادل (ت642هـ/1244م) فلما ذهب الملك جواد الى مصر من اجل مساعدة الملك العادل بن الكامل على تمليك دمشق فأخدها منه فذهب عماد الدين إلى دمشق ليطلب من جواد بأن يتنازل عن دمشق إليه وتعويضه بسنجار والرقة فأمر جواد بقتل عماد الدين لئلا يفسد عليه اتفاقه وقتل على يد رجل نصراني[1].

كما عرف الخليفة العباسي البغدادي الناصر لدين الله (ت622هـ/1225م) بعلاقته الطبية مع طائفة الصوفية وتأثره الشديد بهم لدرجة أنه في منتصف خلافته هم أن يترك الخلافة ويبتعد عن الملك ويتفرغ للتعبد فقد بنى رباطا للصوفية و أقام بجانبه بيتا لنفسه يتردد إليه ويتحادث فيه مع أعيان الصوفية ويستمع إليهم وقد أخاط لنفسه ثيابا مشابهة للصوفية لزي الصوفية، إلا أنه تخلى عن كل ذلك وعاد إلى حياته في الخلافة والملك وحضي الشيخ شهاب أبي حفص عمر السهروردي (ت632هـ/1235م) مكانة مميزة لدى خلفاء بغداد فقد عاصر عددا من الخلفاء العباسيين منهم الخليفة الناصر لدين الله فقد كان لشيخ السهروردي قدر جليل عند الخليفة الناصر حيث جعله مرسولا له في الرسالات الهامة، فالشيخ السهروردي استقر ببغداد وصار من المقدمين في بلاط الناصر لدين الله العباسي، ونال منصب شيخ الشيوخ في بغداد فرأى من الجاه والحرمة عند الملوك ما لم يره أحد[2].

ولا نخفي أيضا أن المتصوفة كانت تربطهم علاقة مع العدو الخارجي خاصة المغول، ، فالمغول في دستورهم أكدوا على حرية الديانات والمذاهب وجسدوا ذلك في علاقاتهم مع أنفسهم ومع الآخرين، والصوفية من جانبهم يمتازون نزعة إنسانية عالية منفتحة على سائر الديانات والمذاهب، لأن الإسلام في جوهره دينا منفتحا على كل الأجناس، لا فرق عنده بين مسلم وغير مسلم يختلفان جنسا أو لغة أو مكانا أو زمانا، وإذا تحرينا عن اللقاء المغولي الصوفي في هذا الجانب وجدنا أن القانون المغولي لم يتعصب لملة على ملة تاركا المرء وما يعتقد، في حين أن علماء كل أمة وزهادها مكرمون معززون، ويعدون إكرامهم وسيلة للتقرب الى الله، وقد نص دستورهم أيضا على :"أن الناس متساوون جميعا لا فرق بينهم"، وتلك النصوص الدستورية جسدها المغول على أرض الواقع وعلى انفسهم، إذ يقول عطاء الله ملك الجويني المؤرخ والموظف في البلاط المغولي: " أما أولادهم فكانوا مخيرين بالدين الذي ينتمون وطائفة عبدت الأوثان إليه، فبعضهم تقلد شعائر السلام، وبعضهم سار سير النصارى، كما ظلت فئة تعتقد اعتقاد أجدادها القدماء، فلم تمل إلى دين معين ولم يكن في المجتمع المغولي فئة تعتنق دينا معينا وتتعصب له بل من حقها

[1]- ابن الجزري، المصدر السابق، ج1، ص174.

[2]- عائشة يوسف المناعي، أبو حفص شهاب الدين عمر السهروردي حياته وتصوفه، دار الثقافة، ط1، الدوحة، 1412هـ، ص18-20.

أن تؤمن بأي دين ترغب فيه وعليها أن تسير على وفق تعاليمه بشرط عدم المساس بعقائد الآخرين"، وحالة الانفتاح المغولي تلك يعكسها أيضا بلاط جنكيز خان الذين كان يضمن المستشارين: المسلم، والمسيحي، والبوذي، ومن عبدة الأوثان، وعرف البلاط المغولي باحتضانه مسلمين من الفرس خاصة، بغية الإفادة من مشاهداتهم ومعرفتهم بأحوال البلاد التي يتجولون فيها، لأن جنكيز خان بوصفه رجل سياسة يرغب في أن يتعلم من تجارب والإفادة من خبرتهم[1]، حيث قال المؤرخ ابن العبري المعاصر لأحداث الغزو المغولي ولا مانع: "لا فرق عندهم (أي المغول) بين العبد والحر والمؤمن والكافر والمسيحي و اليهودي، فهم يسوسونهم بصولجان واحد[2]، وسياستهم في هذا الشأن إيجاد في وصفها المستشرق جورج لاين أيضا حين قال: "استغلوا (أي المغول) اللعب على وتر الروحانيات، فراهنوا على جميع الجياد ليضمنوا عدم الخسارة ومما عزز هذا السلوك رغبة الخان في أن ينال دعاء جميع رعاياه من أجل دوام عافيته وبقائه، حتى وإن اختلفت أديانهم ومعتقداتهم[3]، ومقابل هذا الانفتاح المغولي اتجاه الديانات والشعوب كان انفتاح مماثل للتصوف، ولكي نوضح لانفتاح الصوفي وإبراز صورته بغية بيان السبب الرئيس الذي دفع المغول لإقامة علاقة وطيدة بالتصوف يتوجب علينا دراسة الانفتاح الصوفي على مستوى المذاهب الإسلامية، وعلى مستوى الديانات الأخرى سواء أكانت سماوية أم وضعية. فعلى مستوى المذاهب الإسلامية، لم يقتصر التصوف على مذهب معين، بل شمل كل المذاهب الإسلامية حتى الشيعة الإمامية الذين لا يعرف عنهم هذا الميل، إضافة إلى أن رجالات التصوف أغلبهم من أهل السنة ومن جميع المذاهب الأربعة الملاحظ عنهم أنهم لم يمجدوا رمزا إسلاميا معينا بل كانوا ينظرون إلى رجالات الإسلام بعين واحدة في العقيدة الصوفية تدخل ضمن هذا السياق، وهي أن الصوفية اختاروا العزلة، بعيدا عن المجادلات والمناظرات المذهبية،،فقد انهمكوا بالعمل في إطار الصالح العام واتحاد المذاهب، وجعلوا من التصوف وسيلة للعشق والمحبة وهاجموا بشدة العصبية وضيق الأفق، نظرا لما تسببه المناظرات والمجادلات المذهبية من فتن بين العامة، وتؤدي إلى إقلاق الوضع السياسي وتفتيت الوضع الاجتماعي وإضعاف الحالة الدينية، ولموقف الصوفية الرافض للمجادلات والمناظرات جعل من الصوفية موضع احترام الناس والملوك[4].

[1]- رياض البدراوي، مكانة التصوف في مجتمع دولة مغول فارس والعراق (656-738هـ)، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، 2018م، ص160.

[2]- ابن العبري، تاريخ الزمان، تر: الأب إسحاق أرملة، دار المشرق، بيروت، 1991م، ص363.

[3]- جورج لاين، عصر المغول، تر: تغريد الغضبان، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، ط1، أبوظبي، 1433هـ/2012م، ص52.

[4]- رياض البدراوي، المرجع السابق، ص161.

2-علاقة المتصوفة بالفقهاء:

إن العلاقة بين الفقهاء والمتصوفة تشكل جزء مهم من ديناميكية المجتمع في صياغة الحياة، نظرا لما تكتنزه هذه العلاقة من تأثير في حركية المجتمع وفي منحى سيره وتطوره، لدى سنحاول الكشف عن جانب من جوانب هذه العلاقة وتلمس أطر التوافق أو التناقض أو التعارض بينها في إطار الفترة التاريخية المتمثلة في القرن السابع هجري/الثالث عشر ميلادي[1].

ففي بداية من القرن السادس هجري/الثاني عشر ميلادي شهدت علاقة المتصوفة بالفقهاء تطورا ملحوظا ميزها عن علاقتهما في القرون السابقة، وهذا لا يعني أن الصوفية القدماء كانوا بعيدين عن علوم الشرع لكنهم كانوا في أحيان كثيرة على علاقة متوترة مع بعض الفقهاء. حيث في هذه الفترة بدأ التصوف يتجاوز الخصومات المذهبية والتعصب المذهبي وبدأت حركة تصوف الفقهاء تنتشر وتتوسع وتفعل مفعولها في المجتمع البغدادي خاصة وفي باقي البلدان الذي جاء منها خريجي الطائفتين الجيلية والسهروردية ورجعوا إلى بلدانهم وهم فقهاء متصوفون، ويظهر هذا جليا في كتب التراجم التي ترجمت لرجال العصر والتي يكثر فيها وصف الفقيه الصوفي والصوفي المحدث وغيرها من الأوصاف الدالة على الجمع بين التصوف وعلوم الشريعة، لقد كان كبار فقهاء العصر متصوفين مثل عبد القادر الجيلي وأبي نجيب السهروردي والحافظ الكبير أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي وعبد الوهاب بن سكينة والحافظ عبد الغني المقدسي وشيخ الإسلام الموفق بن قدامة المقدسي وغيرهم الكثير[2].

ومن أبرز الآثار المباشرة لحركة تصوف الفقهاء تلك التخفيف إلى درجة كبيرة من حدة العلاقة بين الحنابلة[3] والأشاعرة[4] واستطاعوا بثمار جهودهم بالخروج بالتصوف من ساحة الخصومة تلك وصار عامل توحيد ودمج وساهموا

[1]- عمر سليم عبد القادر التل، متصوفة بغداد في القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي، دار مأمون للنشر، ط1، الأردن، 1430هـ/2009م، ص270.

[2]- المرجع نفسه، ص270،271.

[3]- الحنابلة: هم من أتباع المذهب الحنبلي وهم من فقهاء الأمة وعلمائها سموا بذلك نسبة لإمامهم أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني. **أنظر**: عبد الله بن عبد المحسن التركي، أصول مذهب الإمام أحمد، مؤسسة الرسالة، ط3، 1410هـ/1990م، ص57.

[4]- الأشاعرة: فرقة كلامية كبرى تنسب لأبي الحسن الأشعري ظهرت في القرن الرابع هجري/العاشر ميلادي. **أنظر**: ناصر عبد الكريم العقل، الفرق الكلامية المشبهة، الأشاعرة، الماتريدية، نشأتها وأصولها وأشهر رجالها ومواقف السلف منها، دار الوطن، ط1، الرياض، 1422هـ/2001م، ص49.

في توعية الناس وتحصينهم من الدعاية الباطنية كما كان انتساب بعض كبار التصوف إلى آل البيت مانعا للشيعة من المزاودة على محبة آل البيت[1].

3-علاقة المتصوفة بالعامة:

كانت العزلة ما تتميز بيه الصوفية إلى أنهم بسبب الظروف الاجتماعية الصعبة التي كان يشهدها المجتمع لم يمارسوا العزلة الكاملة عن المجتمع بحكم احتياجهم له واحتياجه لهم، وكلما زادت الظروف سوءا كلما زادهم اختلاط أكبر وتأثيرا أوسع على كافة فئات المجتمع[2].

فقد جمعتهم علاقة مع أناسا من كافة الخلفيات من فقراء وقاطعي طريق وعيارين تائبين وأصحاب مهن وتجار فقد كان محمد بن علي بن الحسن الصوفي ابن تاجر وكانت تجمعه علاقة قوية مع الصوفية حتى وفاته (209هـ/1212م) وكان أبو الحسن بن أبي فراس الحلي (ت605هـ/1208م) كان جنديا وبسبب صحبته مع الصوفية أصبح زاهدا متعبدا عاكفا على فعل الخير والعبادة وقراءة القرآن ومداومة الصيام حتى عظم في أعين الناس. فلم تقتصر ودية العلاقة الصوفية مع الطبقة العامة من المجتمع بل حتى مع ذو الجاه من أبناء الأعيان والأمراء، فقد كانوا يتوجهون إلى الربط للانقطاع والتصوف مثل ما كان يفعل أحمد بن علي ابن عبد الله الذي انقطع في رباط بباب الجعفرية حتى توفي سنة (642هـ/1244م)[3].

من خلال ما ذكرنا سابقا نستخلص بأن الصوفية حرصوا على أن يكونوا علاقة ودية مع الجميع وهذا للمصلحة العامة والخاصة للحفاظ على استقرار المجتمع.

---

[1]- عمر سليم عبد القادر التل، المرجع السابق، ص272.

[2]- آسيا سهام نقلي، المرجع السابق، ص230.

[3]- محمد عبد الله أحمد القدحات، الحياة الاجتماعية في بغداد في العصر العباسي الأخير (575-656هـ/1179-1258م)، دار البشير، عمان، 2005م، ص265.

المبحث الثاني: دور الصوفية في إصلاح المجتمع:

كانت مشاعر احترام أفراد المجتمع للصوفية تتجلى في مظاهر حضورهم لمجالس الوعظ بأعداد كبيرة، الوعظ الذي اختاره الصوفية للالتقاء بعامة الناس لتمرير رسالتهم الاجتماعية الإصلاحية لما في الوعظ[1]، من جانب تربوي نفسي ولأنه يبرز أوضح الصفات ألا وهو الصدق، حيث قال أبو بكر بن أبي سعدان: من جلس للمناصحة فإن أول كلامه موعظة وأوسطه دلالة وآخره بركة[2].

ولقد انتهج الصوفية عدة طرق لإصلاح المجتمع وخدمته من بينها:

أ-تربية المريدين وتسليكهم:

اهتمت الصوفية بالتربية الروحية والتربية الأخلاقية للمريديين لارتباطهما ببعضهما فلا حياة روحية بدون حياة أخلاقية فالانحلال الأخلاقي يرجع أساسه إلى نقص في التربية الروحية ومن المسلم به أن التصوف يركز على الخلق الاجتماعي فيحرص على طبع الفرد بالسلوك الحميد بإحياء ضميره ومحاسبة نفسه ومراقبة أفعاله لإحساسه بالمسؤولية أمام الله تعالى هذه الأخلاق هي الرباط بين الناس جميعا إذ تنمي فيهم العلاقات السليمة وتحقق عوامل الإخاء والصفاء والمودة المتبادلة، فالحركة الصوفية لم تضع لأتباعها الأصول في الحياة الدينية فحسب بل امتدت لتشمل كافة نواحي حياتهم الاجتماعية فركزت على العلاقات بين الشيخ والمريد وكيفية تربية المريد على أصول وقواعد الآداب حيث وضع المتصوفة لهم قواعد خاصة للتربية حسب منهجهم الصوفي فحددوا أهدافًا خاصة للتربية[3]، ووضعوا شروطًا في المريد (وهو اسم أطلقوه على الطالب أو المبتدئ) وشروطًا خاصة بشيخ الطريق، ومنازل يسير فيها السالك في دربهم. وقد بدأ وضع ملامح هذا المنهج منذ بدأ الفكر الصوفي في الظهور في أواخر القرن الثاني الهجري/الثامن ميلادي[4].

---

[1]- الوعظ: التخويف والزجر التذكير بالخير وما يرق له القلب ويلينه النصح والتذكير بالعواقب الأمر بالطاعة والوصية بها. **أنظر**: الفراهيدي، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهلال، (د.ت)، ج2، ص288.

[2]- السلمي، الطبقات الصوفية، تح: أحمد الشرباصي، كتاب الشعب، ط2، 1419هـ/1998م، ص422.

[3]- رياض صالح علي حشيش، الحركة الصوفية في بلاد الشام خلال الحروب الصليبية (492-690هـ/1098-1291م)، رسالة ماجيستر، كلية الآداب، قسم التاريخ، الجامعة الإسلامية، غزة، 1426هـ/2005م، ص109.

[4]- عبد الرحمان عبد الخالق، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، مكتبة ابن تيمية، ط2، الكويت، (د.ت)، ص316.

وكانت لهم في هذا الوقت مشاعر خاصة كالسماع والذكر الخاص، ورسوم وإشارات وملابس خاصة، ولم يكن لهؤلاء الفقراء أو المتصوفة في القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجري/التاسع والعاشر ميلادي شيخ خاص بكل فريق وإنما كانوا يتربون على ما يسمعونه ويتناقلونه من كلام مشايخهم بوجه عام. ولكن منذ أواسط القرن الرابع/العاشر ميلادي بدأ التربي على الشيخ الخاص وأن يكون لكل جماعة شيخ معلوم لا يتجاوزونه[1].

***اتخاذ الشيخ:**

أول ما يجب على مريد الطريق الصوفي أن يتخذ شيخًا له ليدله على الطريق، يقول عبد الكريم القشيري[2]: "ثم يجب على المريد أن يتأدب بشيخ فإن لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان، وهذا النص قد كتبه وهو يدل على أن قضية وجوب اتخاذ الشيخ قضية قديمة، واتخاذ الشيخ قد تفسر بأن لها سندًا من الكتاب والسنة في أن الرسول علم أصحابه والأصحاب علموا التابعين وهكذا، وأما في الطريق الصوفي فيجب عليك أن تتخذ شيخًا واحدًا لا تحيد عنه ولا تلتفت إلى غيره، بل لا يجوز أيضًا طلب العلم من غير أهل التصوف مطلقا".

وقد قرر شيوخ التصوف من أهل الطرق الحديثة أن من ترك طريقتهم إلى طريقة غيرهم ابتلي بسوء الخاتمة. وهكذا فقد كان رجال التصوف قديمًا يأمرون فقط بمجرد الانتساب والسلوك في الطريق الصوفي أيًا كان الشيخ أو الطريقة، المهم أن يكون السالك (الموفق سائرًا في هذا الطريق غير ملتفت إلى غيره من مذاهب العلماء والفقهاء الذين يصفهم المتصوفة دائمًا بأنهم علماء رسوم وطلاب دنيا، وتجار...[3].

***مواصفات الشيخ:**

وليس كل شيخ يصلح أن يكون شيخًا في الطريق الصوفي بل لا بد أن يمر بمراحل الطريق من أولها إلى نهايتها، أو على الأقل أن يكون قد أخذ العهد من شيخ سابق أو والد له وقد أذن له الشيخ أو الأب بتسليك المريدين، وإدخالهم في الطريق وتلقينهم الأذكار الخاصة...[4].

[1]- عبد الرحمان عبد الخالق، المرجع السابق، ص316.

[2]- القشيري، المصدر السابق، ص201.

[3]- عبد الرحمان عبد الخالق، المرجع السابق، ص317.

[4]- المرجع نفسه، ص318.

آداب المريد:

وقد وضع المتصوفة آدابًا أوجبوها على المريد والسالك في الطريق الصوفي وهذه أهم هذه آدابهم:

1-لا تخالف الشيخ مطلقًا فيما يأمرك به هذا هو المبدأ الأول والشرط الأول والأدب الأول للمريد، وأن تكون موافقة الشيخ بالقلب والجوارح فلا إنكار ولا مخالفة لشيء مما يقوله مطلقًا ولا اعتراض عليه بلسان أو بقلب وشعارهم دائمًا: كن بين يدي شيخك كالميت بين يدي الغاسل[1].

يقول القشيري في بيان ما يجب على المريد: وأن لا يخالف شيخه في كل ما يشير عليه لأن الخلاف للمريد في ابتداء حاله دليل على جميع عمره[2].

ويقول أيضًا: ومن شروطه أن لا يكون بقلبه اعتراض على شيخه[3].

ومن الأقوال يقصد بها بالطبع إماتة القلب واستسلامه للدواهي والمصائب التي سيتلقاها المريد في طريقه الصوفي.

2-لا يجوز الإنكار على شيوخ التصوف أبدًا ولو مع المنكر دليل. يقول أحمد بن مبارك السجلماسي فيما يرويه عن شيخه عبد العزيز الدباغ:

"وأعلم وفقك الله أن الولي المفتوح عليه يعرف الحق والصواب ولا يتقيد بمذهب من المذاهب. ولو تعطلت المذاهب بأسرها لقدر على إحياء الشريعة وكيف لا وهو الذي لا يغيب عنه النبي صلى الله عليه وسلم طرفة عين ولا يخرج عن مشاهدة الحق جل جلاله في أحكامه التكليفية وغيرها وإذا كان كذلك فهو حجة على غيره وليس غيره حجة عليه لأنه أقرب إلى الحق من غير المفتوح عليه وحينئذ فكيف يسوغ الإنكار على من هذه صفته ويقال إنه خالف

[1]- عبد الرحمان عبد الخالق، المرجع السابق، ص320.

[2]- القشيري، المصدر السابق، ص180.

[3]- المصدر نفسه، ص182.

مذهب فلان في كذا، إذا سمعت هذا فمن أراد أن ينكر على الولي المفتوح عليه لا يخلو إما أن يكون جاهلًا بالشريعة كما هو الواقع غالبًا من أهل الإنكار وهذا لا يليق به الإنكار والأعمى لا ينكر على البصير أبدًا"[1].

وهذا داهية الدواهي لأن الشيخ له مذهبه الخاص الذي يتلقاه من النبي رأسًا ولا حاجة عنده إلى التلقي من أي مذهب فقهي لأي إمام مجتهد، فلا تعترض أيها المريد على شيخك لأنه يتلقى الوحي غضًا طريًا، وهؤلاء العلماء عميان وهو مبصر المعنى أن من له عقل سليم وطبع مستقيم لا يرضي سوى شيخه ويدور معه حيثما دار وإن بعد الشيخ في ظاهر الأمر عن الحق بعدًا بينًا كبعد الليل من الفجر، ويقول إن للشيخ في ذلك وجهًا مستقيمًا عسى أن يطلعني عليه. وهذا ظاهر في أنه لا يجوز الإنكار على الشيخ والخروج عنه، ولو خرج الشيخ عن الحق وظهر ذلك للمريد ظهور الفجر من الليل[2].

حيث يقل أحمد بن مبارك[3]: "ومنها أني سمعت الشيخ يقول جاء بعض المريدين لشيخ عارف فقال له يا سيدي القبول لله عز وجل. نعم، ثم أمره بالمقام عنده والعكوف على خدمته وأعطاه مسّاحة في رأسها كورة حديد زائدة لا نفع فيها إلا تثقيل المساحة وكان المريد هو وارث الشيخ بشرط أن لا ينتبه لكورة الحديد المذكورة فإن انتبه وقال ما فائدتها، ولأي شيء تصلح، ولا معنى لها إلا التثقيل فإنه لا يرث شيئًا. قال رضي الله عنه فبقي في خدمته سبع سنين وهو يخدم بالفأس ولا يتحرك له عرق وسواس ولا هزته عواصف رياح الشيطان وصارت الكورة المذكورة بمنزلة العدم الذي لا يرى ولا يسمع فهذه مسألة الصادقين الموفقين رضي الله عنهم والله تعالى الموفق. فانظر كيف يكون المريد الصادق مع شيخه، إنه الذي ينفذ ما يأمره به الشيخ ولا يسأله عنه بتاتًا ولو كان شيئًا غير معقول المعنى ولا فائدة أصلًا منه".

نستحضر ذلك في صورة الشيخ الصوفي أبو القاسم الحواربي الدمشقي (ت633هـ/1237م) بتربية المريدين من الأتباع وتسليكهم في طريق التصوف وقد شمل نشاطه هذا العراق وممن كان لهم دور مهم وبارز أيضا في مجال التسليك والتربية الشيخ الصوفي نجم الدين بن الحكيم عبد الله بن أبي الخير الحموي الدمشقي (ت678هـ/1280م)

[1]- السجلماسي المالكي، الأبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت، 1423هـ/2002م، ص201.

[2]- عبد الرحمان عبد الخالق، المرجع السابق، ص321.

[3]- السجلماسي المالكي، المصدر السابق، ص203.

شيخ زاوية حماة الشامية الذي قصده الطلبة والمريدون من مختلف الجهات ليتعلموا منه أصول طريق التصوف وقد كان عدد أتباعه كثير[1].

ب–تطهير المجتمع من الفساد الأخلاقي:

حرص المتصوفة على تطهير المجتمع من مواطن الفساد الأخلاقي التي كانت منتشرة في المجتمع حرصا منهم على إصلاح المجتمع من الانحرافات التي شهدها ومن الصور التي نستذكرها قيام الظاهر بيبرس سنة (662هـ/1262م) بإبطال المزر (نوع من الشراب المسكر) في مصر والشام وقد عزى بيبرس ذلك المنع لتوجيه أحد الصالحين له بترك ذلك[2]، ثم في سنة (665هـ/1266م) أبطل ضمان الحشيش من مصر كلها وأمر بإراقة الخمور وإبطال المنكرات وتعفية بيوت المسكرات ومنع الحانات بجميع أقطار مملكة مصر والشام[3]، وفي سنة (666هـ/1267م) أمر الظاهر بيبرس بإراقة الخمور ومنع النساء الخواطي من ممارسة البغا[4]، وفي سنة (668هـ/1269م) قام الشيخ الكردي الصوفي شيخ الظاهر بيبرس بالتخلص من الخمور من دمشق بالكلية كما هاجم بيوت النصارى واليهود وألزمهم بإخراج ما فيها من الخمور وفي ذي الحجة من سنة (669هـ/1270م) أمر بإراقة الخمور وكتب توقيع بذلك قرأ على المنابر واستهلت السنة التالية بالتشدد في إراقة الخمور وإبطال المنكر[5].

[1]– مزياني فتيحة، الحركة الصوفية وأثرها على المشرق الإسلامي خلال القرن (7هـ/13م)، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2009م، ص102.

[2]– المقريزي، الخطط المقريزية، تح: محمد زينهم مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998م، ج1، ص.304.

[3]– المصدر نفسه، ج1، ص305.

[4]– المصدر نفسه، ج1، ص305.

[5]– خميس بن علي بن سيف الرواحي، موقف العلماء المسلمين في العراق وبلاد الشام من الغزو المغولي (656-803هـ/1258-1401م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة آل البيت، العراق، 1432هـ/2011م، ص138.

كما عرف الشيخ بن عبد السلام[1] (ت660هـ/1262م) بنشاطه الوعظي والإرشادي من خلال توليه منصب الخطابة بالجامع الأموي بدمشق حيث أزال الكثير من البدع التي كان يقوم بها الخطباء في المساجد على المنابر كما أنه منع الخمور بإغلاقه للمخمورة كانت هناك[2].

وكان لشيوخ التصوف أثر واضح في توبة الكثير من العيارين[3]، فيذكر عن الشيخ عبد القادر الجيلي قوله: "وتاب على يدي أكثر من مائة ألف من العيارين والمسالحة وهذا خيرا كثيرا"[4]، ولم تكن مجالس الشيخ عبد القادر تخلو ممن يتوب عن قطع الطريق وقتل النفس وغير ذلك من الفساد كما ارتدع جماعة من مفسدي الأكراد ببركة الشيخ عدي بن مسافر وأمن الناس من قطع السبيل في مناطق الموصل الذي كان الخطر فيها.

كان شيوخ التصوف في بغداد يستخدمون لفظة فقير لدلالة على الصوفي أكثر من استخدامهم لفظة صوفي لكن الفقر عند الصوفية مهذب بالتوحيد وهو يختلف من هذه الناحية عن فقر العامة الذي كانوا يضجون منه على شكل تمرد العيارين والشطار، قال أبو المزين (ت328هـ/940م) من افتقر إلى الله تعالى وصحح فقره إليه بملازمة آدابه أغناه الله به عن كل ما سواه، ومع ذلك كان أكثر الصوفية يعيشون عيشة فقراء العامة من حيث التقشف وقد شكل فقراء الصوفية بما عرف عنهم من الأدب والحكمة قدوة لكثير من العامة فكسروا بذلك احتكار العيارين لتلك البيئة وخففوا عن أهلها وطأة الفقر المادي[5].

---

[1]- عبد السلام: عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسن بن محمد ابن مهذب السلمي شيخ الإسلام والمسلمين وأحد أئمة الأعلام سلطان العلماء إمام عصره بلا مدافعة القائم بالأمر والنهي عن المنكر. **أنظر**: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د.ت)، ج8، ص209.

[2]- مزياني فتيحة، المرجع السابق، ص103.

[3]- العيارين: هم الفئة المتردية في المجتمع ثاروا على الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فقاموا بأعمال شغب تمثلت بالسرقة والنهب باستخدام الأسلحة. **أنظر**: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط9، بيروت، 1414هـ، ج7، ص545.

[4]- الشطنوفي، بهجة الأسرار ومعدن الأنوار في بعض مناقب القطب الرباني محي الدين أبي محمد عبد القادر الجيلاني، المكتبة الأزهرية للتراث، ط1، القاهرة، 2001م، ص203.

[5]- المقريزي، الخطط المقريزية، ج1، ص306.

ج–الصوفية في خدمة الناس (التكافل الاجتماعي):

إن صورة التكافل الاجتماعي تمتل في استجابة الصوفية دائما لنداء الناس لإنقاذهم ومساعدتهم في مشاكلهم فلقد أعطى الصوفية أهمية كبيرة لخدمة الناس عبر العصور فقد بدلوا جهدا كبيرا في سبيل إعانة المحتاجين و وذوي الحاجة وأعطوا ما بوسعهم قصد اعانة إخوانهم الفقراء وكان منطلقهم في هذا الأمر مرتكزا على البعد الديني ، حيث قال ابن العساكر في كتابه تاريخ مدينة دمشق ناقلا عن ذا النون المصري[1]: " المؤمن عون للغريب أب لليتيم بعل للأرملة حفي بأهل المسكنة مرجو لكل كربة "وذكر عبد الوهاب الشعراني"[2] أن من أخلاق الصوفية تقديم إنفاق الدراهم والدنانير في طعام الجائع وكسوة العريان وقضاء الديون التي لا يقدر أصحابها على الوفاء بها أفضل من بناء المساجد والزوايا ونقل عن "عبد الله بن المبارك"[3] لقمة في بطن جائع أرجح في ميزاني من عمارة مسجد.

فعند اشتداد الأزمات بسبب الظروف التي كان عليها المشرق الإسلامي في القرن السابع هجري /الثالث هجري كان للصوفية دورا بارزا في مساعدة المجتمع وخاصة الطبقة الفقيرة منه.

ومن أمثلة ذلك الشيخ ابن عيسى بن أحمد بن إلياس بن أحمد اليونيني[4] المتوفى سنة (654هـ/1256م)، وروي عنه أنه عندما جاء والي الخوارزمين إلى مدينة يونين في بعلبك وطلب من الفلاحين أموالا لا يستطيعون أن يعطوها فشكى الفلاحين إلى الشيخ ما يقاسونه من الوالي فالتقى الشيخ بالوالي فقال له: "مالي إلى هذا سبيل فبقى الشيخ يرد عليه ويقول مالي إلى هذا سبيل فنظر إليه الشيخ وأطال النظر فخبط الأرض وأزيد فلما أفاق أنكب على

[1]– ابن عساكر، تاريخ دمشق، تح: محب الدين أبي السعيد عمر بن علامة العموري، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1415هـ/1995م، ج17، ص420.

[2]– الشعراني، تنبيه المغتربين أواخر القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الظاهر، تح: وائل أحمد عبد الرحمان، المكية التوفيقية، القاهرة، (د.ت)، ص168.

[3]– هشام العلوي، مدارات الصوفية، دار النهج، ط1، دمشق، 1997م، ص187.

[4]– اليونيني: هو بن أحمد بن إلياس بن أحمد بن إلياس بن أحمد اليونيني الزاهد، كان زاهدا عابدا صوما قواما قانتا لله. **أنظر**: الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج22، ص166.

رجل الشيخ واعتذر ونزل فقال للخوارزمية من أراد أن يموت يطلع إلى الضيعة أو معناه وكانت شفاعته عند ولاة الأمور مقبولة ومنها فدائه أحد الأسرى وكان من النصارى ودفع ثمنه لصاحبه"[1].

الشيخ أبو عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة الدمشقي[2] المتوفى سنة (607هـ/1210م) إذا يجمع الحطب من الجبل ويحمله إلى بيوت الأرامل واليتامى ويحمل إليهم الدراهم والدقيق ولا يعرفونه وعندما يفتح له بشيء من الدنيا يتفكر بها أقربائه والناس وبل يتصدق بثيابه أيضا[3].

وكان أيضا للصوفي الكبير العزيز بن عبد السلام دورا في مساعدة الفقراء في فترة غلت فيها الأسعار بدمشق التي كان لايزال فيها قبل أن ينتقل إلى مصر حيث أعطته زوجته مجموعة من المجوهرات التي كانت تحتفظ بها وطلبت منه أن يبيعها ويشتري بثمنها بستانا لأن البساتين في هذه الفترة قد انخفض ثمنها فأخد المجوهرات وباعها وقبض ثمنها ووزعوا على الفقراء والمحتاجين وعندما سألته زوجته عما صنع بنقود المجوهرات فأجابها بقوله جزاك الله خيرا عنها وكان تصدق بجميعها[4] فقد كان من أولوياته تقديم نفقة المرء وكسوته وسكناه على نفقة زوجته وأصوله وفصوله وكسوتهم وسكناهم ومنها تقديم حق الفقير المضطر بالطعام والشراب على حق نفسه إن لم يكن مضطرا إليهما ومنها تقديم الضروريات على ذوي الحاجات فيما ينفق من الأموال العامة وكذلك تقديم الحاجة الماسة على ما دونها من الحاجات ومنها تقديم الفقراء عليه في جميع أمواله في قضاء ديونهم[5].

[1]- العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: بسام محمود البارود، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2001م، ج8، ص238.

[2]- ابن قدامة: شيخ الإسلام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد ابن قدامة الدمشقي الصالحي. **أنظر**: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج22، ص166.

[3]- رياض صالح علي حشيش، المرجع السابق، ص135.

[4]- مزياني فتيحة، المرجع السابق، ص371.

[5]- عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، تح نزيه كمال حماد عثمان جمعة ضميرية، دار القلم، دمشق، ج 1، ص250.

كما ذكر عن الصوفي محمد بن خليل بن عبد الوهاب بن بدر أبو عبد الله البيطار[1] المتوفى سنة (658هـ/1260م) ورد عنه إذا جاءته أموال وزعها على المستحقين ولا يذخر شيئا رغم أن ما يأتيه كثير فينفقها على المحابيس والمحتاجين والأرامل والمنقطعين[2].

وكان الشيخ خضر بن موسى أبو العباس المهراني العدوي المتوفى سنة (671هـ/1272م) واسع الصدر يعطي الدراهم والذهب[3].

وأيضا الشيخ عبد القادر الجيلاني[4] كان يقول فتشت الأعمال كلها فما وجدت أفضل من إطعام الطعام للجياع، يعني أنه كان ينفق على المحتاجين[5].

إذن فالدور التربوي الذي انتهجه الصوفية من خلال نشر الوعي الديني ومحاربة الانحلال الأخلاقي ومساعدتهم للناس على تجاوز محنهم بتقديم لهم المساعدات واتخاذهم منهج خاص لتربية المريدين لخدمة المجتمع بطريقة إيجابية ساهموا من خلاله بإصلاح ما يمكن إصلاحه في أخلاق المجتمع المشرقي.

---

[1]– البيطار: أبو محمد بن خليل بن عبد الوهاب بن بدر أبو عبد الله البيطار الأكال أصله من جبل بني هلال وولد بقصر الحجاج وكان مقيما بالشاغور. **أنظر**: ابن الكثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، ط7، بيروت، 1407هـ/1989م، ج13، ص658.

[2]– العمري، المصدر السابق، ج8، ص285.

[3]– المصدر نفسه، ج8، ص286.

[4]– الجيلاني: أبو محمد محي الدين عبد القادر الجيلاني ابن أبي صالح موسى بن السيد عبد الله الجيلي ويعرف أيضا بسلطان الاولياء وهو إمام صوفي وفقيه حنبلي شافعي. **أنظر**: الجيلاني، تفسير الجيلاني، تح: أحمد فريد المزيري، المكتبة المعروفية، باكستان، 1431هـ/2010م، ج1، ص5.

[5]– العمري، المصدر السابق، ج8، ص287.

المبحث الثالث: دور الأماكن التي يمارس بها الصوفية نشاطهم:

انتشرت مساكن الصوفية (الخوانق، الأربطة، الزوايا) انتشارا واسعا في بلاد المشرق الإسلامي خلال القرن السابع هجري/الثالث عشر ميلادي بسبب تهافت الناس من مختلف فئات المجتمع عليها وانضمام الكثير منهم وانخراطهم في الحركة الصوفية تعتبر مساكن الصوفية من أحد أهم المؤسسات الاجتماعية التي أثرت على حياة الناس من خلال دورها الفعال في خدمة المجتمع من خلال مهامها التربوية الفكرية والاجتماعية الإنسانية في ظل ما كان تشده منطقة المشرق من أوضاع سياسية واقتصادية...إلخ

1-نظامهم الداخلي:

قد أقام الصوفية في أمكنة أطلق عليها الرباط الزاوية الخانقات ففي العصور الإسلامية الأولى نشأ الرباط من أجل حماية الثغور ثم أصبحت الربط ملتقى للصوفية ولكن منذ القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي أصبحت هذه الكلمات تستعمل دون التفريق للإقامة فيها.

وكان لهم شيخ وخادم وكان الشيخ يعين في الغالب من قبل الحكومة ورتبة المشيخة من أعلى المراتب في طريقة الصوفية ومن أهم واجباته الإشراف على الرباط وتدريب المريدين وهم المنضمون إلى الرباط أو الزاوية أو الخانقاه فأما الخادم من واجباته تنظيفهم والسهر على راحة النزلاء فيه ومباشرة اوقاف الرباط أو الخانقاه وتقرير أمور الصوفية[1]، وقد ذكر السهروردي[2] حين قال: "الخادم يدخل الخدمة راغبا في الثواب وفيما أعد الله تعالى للعباد ويتصدى لإيصال الراحة ويفرغ خاطر المقبلين على الله تعالى من مهام معاشهم".

وكانت أعلى مرتبة بها هي مرتبة شيخ الشيوخ وقد حظي الشيخ بمنزلة اجتماعية وسياسية رفيعة جدا ولم يقل دوره عن دور القضاة وكبار العلماء وكان حلقة اتصال بين الصوفية والسلطان وللصوفية أهمية خاصة في نظر أهل الحكم لما يخلقوا للسلطة من متاعب، مثلا مشيخة الشيوخ في بلاد الشام كانت تابعة لشيخ الشيوخ في مصر وكان السكان نفسه يقوم بتعينه بمرسوم ملكي فالناصر محمد بن قلاوون أصدر مرسوما بتقليد الشيخ نظام الدين

[1]- اكتمال إسماعيل، الحملات المغولية وآثارها الاجتماعية والاقتصادية على بلاد الشام (1250-1400هـ)، دار ومؤسسة رسلان، سوريا، 2008م، ص193.

[2]- السهروردي، عوارف المعارف، ج2، ص49.

الأصفهاني مشيخة الشيوخ في مصر والشام وقد خوله المرسوم الاشراف على مواريث الصوفية واوقافهم وقد يكون شيخ الشيوخ أحيانا من الشام وليس من مصر فقط[1].

فقد ذكر ابن حبيبي انه تولاها شرف الدين أبو بكر بن محمد الجويني[2] (ت678هـ/1279م)، ومؤرخون آخرون ذكروا أن نجم الدين بن صصري[3] تولاها سنة (716هـ/1316م) بناء على توصيات الصوفية[4].

أما الشخص المنتسب للرباط فكان يسمى المريد وكان يرتبط بشيخه فيخلع عليه خرقة التصوف ويسمى الزمن الذي يمضيه المريد مع الشيخ زمن الارتضاع وكانت المدة التي يقتضيها المريد قبل أن يؤذن له بالعهد ثلاث سنوات، فالسنة الأولى يقضيها المريد في خدمة القوم والثانية في خدمة الله والثالثة في مراقبة الكلية، وكان ساكن الخانقاه أو الرباط أو الزاوية ينصرف كليا إلى العبادة وترك الاكتساب ويعتني بالمجاهدة والروحانيات والخلوة حتى إن بعضهم كان يقيم فيهم أربعين يوما لا يخرج منه أبدا[5].

حيث قال السهروردي[6]: "من شروط ساكن الرباط قطع المعاملة مع الخلق وفتح المعاملة مع الحق وترك الاكتساب اكتفاء بكفالة مسبب الشباب وحبس النفس عن المخالطات واجتناب التبعات وعانق ليله ونهاره العبادة متعوضا بها عن كل عادة شغله حفظ الأوقات وملازمة الأوراد وانتظار الصلوات واجتناب الغفلات ليكون بذلك مرابطا مجاهدا".

---

[1]- اكتمال إسماعيل، المرجع السابق، ص193

[2]- الجويني: إبراهيم بن محمد بن المؤيد أبي بكر بن حمويه الجويني صدر الدين أبو الجامع شيخ خراسان في وقته من أهل جوين. **أنظر**: الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، 2002م، ج1، ص63.

[3]- الصصري: أبو العباس أحمد بن العدل سالم بن الحافظ المحدث بهاء الدين أبي المواهب بن أحمد بن محمد الصصري الربعي الشافعي قاضي القضاة بالشام. **أنظر**: ابن الكثير، المصدر السابق، ج 14، ص122.

[4]- اكتمال إسماعيل، المرجع السابق، ص193.

[5]- المرجع نفسه، ص194.

[6]- السهروردي، عوارف المعارف، ج1، ص57.

فكان يأتيهم الطعام عن طريق السؤال أو بمرسوم سلطاني فالمنصور قلاوون[1] قرر للشيخ أبي عبد الله محمد بن الشيخ غانم المقدسي[2] كل شهر غرارتين قمحا بالكيل النابلسي إنعاما مستمرا غير أن بعض الزوايا لم يكن لها مرتب ولا وقف كزاوية الشيخ محمد بن قوام البالسي حيث رفض أن يعطي مرتب لزاويته أكثر من مرة وكان قسم القليل من المتصوفة لا يرضى أن يقيم بالزاوية أو الرباط ليأكل ما تدره عليهم بل يعمل بيده ليتقوت من عمله كأبو العباس الزرعي (ت761هـ/1359م)[3].

واختلفت طريقة عيش المريدين في الزوايا باختلاف الأطعمة التي كانت تقدم لهم فبعض الزوايا يهدى لأهلها الخبز القفار وبعض الزوايا تحمل إلى أهلها أطيب الطعام وقد صرح الشعراني انه ينبغي للشيخ أن يخرج من الزاوية كل من غير وبدل عهود الفقراء التي دخل الزاوية على نيتها[4].

دور مساكن الصوفية في خدمة المجتمع:

تتمثل في الإيواء وتقديم الطعام خاصة في فترة شهد فيها المشرق الإسلامي عدة أزمات فقد بث الرعب في قلوب الناس عندما رأوا منازلهم تهدم على رؤوسهم بسبب الحروب والغزوات والكوارث الطبيعية من زلازل وجفاف خلفت الكثير من الامراض والاوبئة هذا ما دفع الكثير من الناس وخاصة الطبقة الفقيرة من الناس إلى مساكن الصوفية (الخوانق الربط الزوايا) لما تقدمهم لهم من خدمات[5].

لقد كانت هذه المساكن ملجأ للكثير من الفقراء والمحتاجين وعابري السبيل الذين لا يجدون مكانا يأويهم في البلاد الدين يمرون عليها مثل الشيخ علي البكاء 671 هـ 1272م صاحب زاوية بالقرب من بلاد الخليل كان

[1]- قلاوون: السلطان الأعظم الملك الناصر ناصر الدين إبن السلطان الملك المنصور سيف الدين الصالحي من أعظم ملوك الاتراك. **أنظر**: الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، تح: علي أبو زيد واخرون، دار الفكر، ط1، بيروت، 1418هـ/1998م، ص74.

[2]- المقدسي: هو الشيخ علي بن محمد بن علي بن جليل الخزرجي السعدي العيادي المقدسي الأصل القاهري المولد. **أنظر**: البرماوي، إمتاع الفضلاء بتراجم القراء فيما بعد القرن الثامن هجري، تح: الشيخ محمد تميم الزعبي، دار الندوة العالمية، (د.ت)، ج1، ص253.

[3]- اكتمال إسماعيل، المرجع السابق، ص195.

[4]- المرجع نفسه، ص195.

[5]- سعيد منصور مرعي القحطاني، إسهام الوقف في دعم الحركة العلمية في القرن السابع هجري، مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة، ع110، 2020م، ص 377.

مشهورا بالصلاح والعبادة وإطعام من اجتاز به من المارة والزوار [1] وملجأ للذين فقدوا منازلهم فاحتوتهم من التشرد والضياع ودفعت شبح الجوع والعرى عنهم وكانت مصدر رزقا للكثير ممن فقدوا وظائفهم بسبب الأزمات الاقتصادية الخانقة التي مرت بها بلاد المشرق فعمروها وسكنوها من أجل كسب الارزاق، علاوة على ذلك كانت مأوى للمعاقين والمصابين بعاهات مستديمة المتضررين من الحروب والكوارث الطبيعية وأصبحوا عاجزين عن ممارسة أي عمل ففقدوا الشغف في الحياة لكن بمجرد استكشافهم للتصوف وجدوا فيهم مبتغاهم فانقطعوا الى عبادة الله في مساكن الصوفية وأصبحت هي مأواهم الدائم، وكذلك كانت مأوى لكبار السن ممن لا معين لهم ومسكنا للأرامل والمطلقات يقمن فيها تحت رعاية زاهدت متشددات بالمراقبة[2].

ولا نستثني بأن الصوفية حرصوا على تشجيع التعليم بين أفراد المجتمع لتنوير عقولهم من الجهل وإدراك ما يدور حولهم، فقد خصصوا مساكنهم للتدريس والتعليم، حيث أقاموا فيها الحلقات الدراسية وشملت تدريس اللغة العربية والفقه وحفظ القرآن والقراءات واحتوت هذه المساكن على خزائن الكتب، مثل خزينة الكتب التي كانت بالرباط الخاتوني، وخزينة كتب الرباط الحريم الطاهري، ودار الكتب المأمونية ببغداد. وخصص لكل جماعة من الطلبة الموقيمين مدرسين لتعليمهم فقد كانت بمثابة مدارس فكرية بل وامتد هذا النشاط إلى مجالات أخرى كالتأليف والتصنيف[3].

وفي الأخير نستطيع أن نقول بأن الانتشار الواسع للمساكن الصوفية في بلاد المشرق الإسلامي خلال فترة القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي كان له دور إيجابي من خلال الخدمات الجليلة التي قدمتها هذه المساكن للناس في وقت انقطع بهم حبل الحياة.

[1]- ابن الكثير، المصدر السابق، ج13، ص306.

[2]- سعيد منصور مرعي القحطاني، المرجع السابق، ص377، 378.

[3]- محمد المفيد ياسين، الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع هجري، الدار العربية للطباعة، ط1، بغداد، 1399هـ/1979م، ص215.

خاتمة

بعد دراسة دور الحركة الصوفية في الحياة الاجتماعية في المشرق الإسلامي خلال القرن (7هجري/13ميلادي) توصلنا إلى بعض النتائج نستعرضها في النقاط التالية:

- ✓ يعد التصوف جانبا مهما في تاريخ الفكر الإسلامي فهو منهجا وطريقا في العبادة والتفكير، حظي باهتمام كبير من الباحثين المسلمين وغير المسلمين (المستشرقين).
- ✓ اختلاف الباحثين والصوفية في ضبط مفهوم واحد للتصوف وأصل اشتقاقه، وهذا راجع لما يكتنفه المصطلح من غموض وقد عبر عنه كل واحد منهم على حسب انتمائه ودرجة مقامه.
- ✓ اعتبار أن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وحياته هي الشعلة الأولى للتصوف، نتيجة المبادئ والمعاني الروحية والأفعال الزهدية التي اتصفت بها.
- ✓ ساعدت مجموعة من الأسباب السياسية وأخرى اقتصاديه في ظهور وانتشار التصوف.
- ✓ إن التصوف مر بمراحل كثيرة وكل مرحلة امتازت عن الأخرى، ففي مرحلته الأولى عرف بالزهد والثانية ظهر مصطلح التصوف السني والفلسفي والطرقي.
- ✓ تأثر التصوف الإسلامي بمصادر خارجية أخرى من ديانات وفلسفات قديمة، بالإضافة إلى المصادر الداخلية المبنية على القرآن والسنة.
- ✓ شهدت الفترة التاريخية (7هجري/13 ميلادي) من تاريخ المشرق الإسلامي عدة أزمات من غزو صليبي ومغولي إلى كوارث طبيعية.
- ✓ شهدت القيم الدينية والأخلاقية تدهور واضمحلال كبيرين داخل المجتمع المشرقي خلال القرن السابع هجري/الثالث عشر ميلادي بسبب الظروف والأزمات، فتغلغلت بين مكوناته الانحرافات وسيطرت البدع والخرافات على العقول.
- ✓ الظروف السيئة التي شهدها المجتمع جعلته يبحث عن منفذ للخلاص فوجد الصوفية علاجا لآفاته.

- ✓ يعتمد الصوفية في علاقاتهم بالودية وتفادي الدخول في صراعات مع أي جهة كانت من أجل الحفاظ على السلمية، وبسبب حاجة الناس في ذلك الوقت إلى الأمن والأمان والطمأنينة هربا من الصراعات والحروب والفتنة.
- ✓ محاربة الصوفية للفساد والانحراف الأخلاقي بنشر الوعي الديني وتربية المريدين لخدمة المجتمع ومساعدته لمواجهة الظروف التي يعيشها.
- ✓ انقياد الناس وراء الحكام وخضوعهم لهم، نتيجة استغلال إيمانهم بالأولياء والكرامات.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: القرآن الكريم.

ثانيا: المصادر العربية:

1. ابن أبيك الدواداري، أبو بكر بن عبد الله بن أبيك الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، ج7، تح: سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، 1391هـ/1972م.
2. ابن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، ج12، اعتناء: أبوصيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، (د.ت).
3. الأصفهاني، أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت430هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج2، دار الفكر، بيروت، 1416هـ/1996م.
4. بدر الدين محمود العيني (ت855هـ/1451م)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج3، تح: محمد محمد أمين، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1431هـ/2010م.
5. البرماوي، إلياس بن أحمد حسين بن سليمان البرماوي، إمتاع الفضلاء بتراجم القراء فيما بعد القرن الثامن هجري، ج1، تح: الشيخ محمد تميم الزعبي، دار الندوة العالمية، (د.ت).
6. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام النميري الحراني (ت 728هـ/1328م)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمان بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، مج11، 1425هـ/2004م.
7. ابن الجزري، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الجزري القرشي (ت738هـ)، تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، ج1، تح: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 1419هـ/1998م.
8. الجنيد، أبو القاسم الجنيد البغدادي (ت298هـ)، رسائل الجنيد، تح: علي حسن عبد القادر، برعي وجداي للنشر، القاهرة، 2003م.
9. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج بن عبد الرحمان بن علي بن محمد (ت597هـ/1200م)، تلبيس إبليس، ج1، تح: أحمد بن عثمان المزيد، دار الوطن للنشر، 1422هـ.
10. (-،-)، مناقب بغداد، مطبعة دار السلام، بغداد، 1342هـ.

11. الجيلاني، الغوث الرباني والإمام الصمداني سيدي محي الدين عبد القادر الجيلاني (ت713هـ)، تفسير الجيلاني، ج1، تح: أحمد فريد المزيري، المكتبة المعروفية، باكستان، 1431هـ/2010م.

12. الحسين بن حمدان الخطيب، الرسالة الرستباشية في أصول العقيدة النصرية (العلوية)، ج3، تح: رواء جمال علي، 2014م.

13. الحموي، أبي الفضائل محمد بن علي بن نظيف الحموي، التاريخ المنصوري، تح ومرا: أبو العيد دو دو وعدنان درويش، مطبعة الحجاز، دمشق، 1401هـ/1981م.

14. ابن خلدون، عبد الرحمان بن محمد الحضرمي (ت808هـ/1405م)، مقدمة ابن خلدون، ج1، تح: محمد الشامي، شركة دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2016م.

15. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/1348م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج22، ج46، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط1، لبنان، 1418هـ/1998م. مصدر

16. السبكي، تاج الدين أبي مصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت771هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، ج8، تح: محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د.ت).

17. السجلماسي، سيدي أحمد بن المبارك السجلماسي المالكي (ت1156هـ)، الأبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت، 1423هـ/2002م.

18. السلمي، أبي عبد الرحمان، الطبقات الصوفية، تح: أحمد الشرباصي، كتاب الشعب، ط2، 1419هـ/1998م.

19. السهروردي، شهاب الدين أبي حفص عمر السهروردي (ت632هـ/1235م)، حكمة الإشراق، مرا وتق: إنعام حيدورة، دار المعارف الحكيمة، ط1، 1430هـ/2010م.

20. (-،-)، عوارف المعارف، ج1، ج2، تح: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

21. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري (ت911هـ/1505م)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج6، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ط1، القاهرة، 1424هـ/2003م.

22. الشطنوفي، نور الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن اللخمي (ت713هـ)، بهجة الأسرار ومعدن الأنوار في بعض مناقب القطب الرباني محي الدين أبي محمد عبد القادر الجيلاني، المكتبة الأزهرية للتراث، ط1، القاهرة، 2001م.

23. الشعراني، أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشافعي المصري المعروف بالشعراني (ت973هـ)، تنبيه المغتربين أواخر القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الظاهر، تح: وائل أحمد عبد الرحمان، المكية التوفيقية، القاهرة، (د.ت).

24. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي (ت746هـ)، أعيان العصر وأعوان النصر، تح: علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر، ط1، بيروت، 1418هـ/1998م.

25. الطوسي، أبو جعفر محمد بن محمد بن الحسن الطوسي المعروف بأبي نصر السراج الطوسي (ت672هـ/1247م)، اللمع، تح: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، 1380هـ/1960م.

26. عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام (ت660هـ)، قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، ج1، تح: نزيه كمال حماد عثمان جمعة ضميرية، دار القلم، دمشق، (د.ت).

27. ابن عساكر، الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت571هـ)، تاريخ دمشق، ج17، تح: محب الدين أبي السعيد عمر بن علامة العموري، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1415هـ/1995م.

28. العسقلاني الشافعي، أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني الشافعي (ت852هـ)، تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ج2، تع واعتناء: أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب، مؤسسة قرطبة، ط1، قرطبة، 1416هـ/1995م.

29. ابن العماد، شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العسكري الحنبلي الدمشقي (ت1089هـ/1678م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج5، مكتبة القدسي، 1351هـ.

30. العمري، شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الله العمري (ت749هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج8، تح: بسام محمود البارود، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2001م.

31. ابن الفوطي، أبي الفضل عبد الرزاق بن الفوطي البغدادي (ت718هـ/1323م)، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، المكتبة العربية، بغداد، 1351هـ.

32. القشيري، أبي القاسم عبد الكريم ابن هوزان القشيري النيسابوري (ت465هـ)، الرسالة القشيرية في علم التصوف، تح: معروف مصطفى زريق، شركة أبناء شريف أنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1421هـ/2001م.

33. القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت821هـ/1418م)، مآثر الأنافة في معالم الخلافة، ج2، تح: عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب، بيروت، (د.ت).

34. ابن الكثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي (ت 774هـ/1372م)، البداية والنهاية، ج13، ج14، مكتبة المعارف، ط7، بيروت، 1407هـ/1989م.

35. الكلاباذي، أبو بكر محمد بن إسحاق البخاري الكلاباذي (ت380هـ/990م)، التعرف لمذهب أهل التصوف، تصحيح واهتمام: أرثرجون أربري، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت).

36. المقريزي، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي ابن عبد القادر بن محمد العبيدي (ت845هـ/1442م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ج2، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 1418هـ/1997م. مصدر

37. (-،-)، الخطط المقريزية، ج1، تح: محمد زينهم مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998م.

38. الملك الأشرف الغساني، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، ج1، تح: شاكر محمود عبد المنعم، دار التراث الإسلامي، لبنان، 1395هـ/1975م.

39. النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن البيع بن عبد الله الحاكم (ت405هـ/1014م)، المستدرك على الصحيحين، ج2، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

40. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب (ت284هـ/897م)، البلدان، المكتبة المرتضية ومطبعتها الحيدرية، 1337هـ/1918م.

-ثالثا: المصادر المعربة:

1. ابن إياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج1، تر: محمد مصطفى، الهيئة المصرية للكتاب، ط2، القاهرة، 1982م.
2. ابن العبري، أبي الفرج جمال الدين ابن العبري، تاريخ الزمان، تر: الأب إسحاق أرملة، دار المشرق، بيروت، 1991م.

-رابعا: المراجع العربية:

1. إبراهيم الدبو وآخرون، الإسلام وقضايا العصر، دار المأمون، ط2، الأردن، 1433هـ/2012م.
2. إبراهيم ياسين الخطيب، القدس يبن أطماع الصليبيين وتفريط الملك الكامل الأيوبي، دار المناهج، ط1، الأردن، 1421هـ/2001م.
3. أحمد أمين، ظهر الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (د.ت).
4. أحمد عبد الغفور عطار، الديانات والعقائد في مختلف العصور، مكتبة المهتدين، ط1، مكة المكرمة، 1401هـ/1981م.
5. أحمد عبد الكريم سليمان، المغول والمماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس 648-676هـ/1250-1277م، دار النهضة العربية، ط1، 1405هـ/1984م.
6. أحمد عودات وآخرون، تاريخ المغول والمماليك من القرن السابع الهجري حتى القرن الثالث عشر الهجري، دار الكندي-إربد، 1990م.
7. أحمد محمد سالم تجلي الإله، جدلية الإلهي والإنساني في الثقافة الإسلامية، نيو بوك للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2019م.
8. إسماعيل عبد العزيز الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي، مكتبة الفلاح، ط1، 1404هـ/1984م.
9. إسمت غنيم، الحملة الصليبية الرابعة ومسؤولية انحرافها ضد القسطنطينية، دار المعارف، 1982م.

قائمة المصادر والمراجع:

10. آسيا سليمان نقلي، دور الفقهاء والعلماء والمسلمين في الشرق الأدنى في الجهاد ضد الصليبين خلال الحركة الصليبية (489/620هـ)، مكتبة العبيكان، ط1، الرياض، 1423هـ/2002م.
11. اكتمال إسماعيل، الحملات المغولية وآثارها الاجتماعية والاقتصادية على بلاد الشام (1250–1400هـ)، دار ومؤسسة رسلان، سوريا، 2008م.
12. إيناس حسني البهجي، تاريخ المغول وغزو الدولة الإسلامية، مركز الكتاب الأكاديمي، ط1، الأردن، 2017م.
13. حمد المفيد ياسين، الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع هجري، الدار العربية للطباعة، ط1، بغداد، 1399هـ/1979م.
14. دليمي عبد المنعم عبد الله خلف، الألفاظ اليونانية في مؤلفات العربية وتأصليها، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، 2016م.
15. رابح عبد الحميد الكردي، نظرية المعرفة بين القران والسنة، مكتبة المؤيد، ط1، السعودية، 1416هـ/1996م.
16. رياض البدراوي، مكانة التصوف في مجتمع دولة مغول فارس والعراق (656–738هـ)، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، 2018م.
17. زكي مبارك، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، ج1، مطبعة الرسالة، ط1، 1357هـ/1938م.
18. سارة بنت عبد الحشن بن عبد الله جلوي السعود، نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام، دار المنارة، ط1، جدة، 1411هـ/1991م.
19. سامي عبد الله المغلوث، أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى، مكتبة العبيكان، ط1، الرياض، 1430هـ/2009م.
20. سعيد عبد الفتاح عاشور، أضواء جديدة على الحروب الصليبية، دار القلم، القاهرة، 1964م.
21. شوقي أبو خليل، الحروب الصليبية: أسبابها، أحداثها، نهايتها، دار الفكر، ط1، دمشق، 1430هـ/2009م.
22. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني، دار المعارف، ط12، (د.ت).

23. شيخ كامل محمد محمد عويضة، بوذا والفلسفة البوذية، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1414هـ/ 1994م.

24. صابر طعيمة، الصوفية معتقدا ومسلكا، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، ط1، الرياض، 1405هـ/1985م.

25. صاوى محمد الصاوى، هولاكو الأمير السفاح، دار طيبة للطباعة، ط1، الجيزة، 2012م.

26. صباح السيد سليمان، المعمار المملوكي بين هندسة اللفظ وهندسة الشكل، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، القاهرة، 2006م.

27. عائشة يوسف المناعي، أبو حفص شهاب الدين عمر السهروردي حياته وتصوفه، دار الثقافة، ط1، الدوحة، 1412هـ.

28. عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ أحمد التيجاني وأتباعه، 2016م.

29. عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية ومدارسها، مكتبة مدبولي، ط2، القاهرة، 1999م.

30. عبد الرحمان عبد الخالق، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، مكتبة ابن تيمية، ط2، الكويت، (د.ت).

31. عبد العزيز إدريس محمود إدريس، مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفي وأثرها السيء على الأمة الإسلامية، مكتبة الرشد، ط2، الرياض، مج1، 1426هـ/2005م.

32. عبد الفتاح أحمد، فلاسفة الإسلام والصوفية وموقف أهل السنة منهم، دار الوفاء لدنيا الطباعة، ط1، 2016م.

33. عبد الفتاح رواس قلعه جي، السهروردي مؤسس الحكمة الإشراقية (دراسات ومختارات)، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2013م.

34. عبد الفتاح محمد السيد أحمد، التصوف بين الغزالي وابن تميمة، دار الوفاء، ط1، المنصورة، 1420هـ/2000م.

35. عبد الكريم بليل، التصوف والطرق الصوفية، مركز الكتاب الأكاديمي للنشر، 2018م.

36. عبد الله أمين، دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة، دار الحقيقة، ط2، بيروت، 1991م.

37. عبد الله بن دجين السهلي، الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها، دار كنوز، إشبيليا، ط1، الرياض، 1426هـ/2005م.

38. عبد الله بن عبد المحسن التركي، أصول مذهب الإمام أحمد، مؤسسة الرسالة، ط3، 1410هـ/1990م.

39. عبد الله حسين، التصوف والمتصوف، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2017م.

40. عبد الله يوسف الغنيم، سجل الزلازل العربي أحداث الزلازل وآثارها في المصادر التاريخية، الجمعية الجغرافية الكويتية، ط1، الكويت، 2002م.

41. عبد المنعم صالح العلي العزي، دفاع عن أبي هريرة، دار القلم، ط2، بيروت، 1981م.

42. عبد الوهاب الشيخ حمد، مدرسة التفسير في بغداد في القرنين الهجريين الثالث والرابع، دار الكتب العلمية، 2013م.

43. عزمي طه السيد أحمد، التصوف الإسلامي حقيقته وتاريخه ودوره الحضاري، المؤسسة العربية الدولية للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2004م.

44. عزيز بن عبد الله، معلمة التصوف الإسلامي آثار التصوف المغربي في الفكر الصوفي المشرقي، ج3، دار النشر المعرفة، ط1، الرباط، 2001م.

45. عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، الدول المستقلة في المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1420هـ/1999م.

46. أبو العلا عفيفي، التصوف الثورة الروحية في الإسلام، دار الشعب، بيروت، (د.ت).

47. علي عيسى عثمان، الإنسان عند الغزالي، دار الجيل للطباعة، مصر، (د.ت).

48. عمر سليم عبد القادر التل، متصوفة بغداد في القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي، دار مأمون للنشر، ط1، الأردن، 1430هـ/2009م.

49. عمر فروخ، التصوف في الإسلام، مكتبة منيمنة، ط1، بيروت، 1366هـ/1947م.

50. فؤاد عبد المعطي الصياد، المغول في التاريخ، ج1، دار النهضة العربية، بيروت، 1980م.

51. قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، عالم المعرفة، الكويت، (د.ت).

52. القزوي، زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار البلاد، دار صادر، بيروت، (د.ت).

53. لويس معلوف، المنجد في اللغة والأدب والعلوم، المطبعة الكاثوليكية، ط19، بيروت، (د.ت).

54. محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، 1982م.

55. محمد بن أحمد بن علي الجوير، جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري في الرد على الصوفية، ج1، مكتبة الرشد ناشرون، ط1، 1464هـ/2003م.

56. محمد بن الطيب، إسلام المتصوفة، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 2007م.

57. محمد سليم الجندي، تاريخ معرة النعمان، ج1، تح: عمر رضا كحالة، منشورات وزارة الثقافة، ط1، 1383هـ/1963م.

58. محمد عبد الله أحمد القدحات، الحياة الاجتماعية في بغداد في العصر العباسي الأخير (575-656هـ/1179–1258م)، دار البشير، عمان، 2005م.

59. محمد عبد الله الشرقاوي، المستشرقون ونشأة التصوف الإسلامي، دار البثير للثقافة والعلوم، ط1، 2016م.

60. محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب في التراث الصوفي، مكتبة غريب، الفجالة، (د.ت).

61. محمد كمال إبراهيم جعفر، التصوف طريقا وتجربة ومذهبا، دار الكتب الجامعية، 1970م.

62. محمود سعيد عمران، الحملة الصليبية الخامسة: حملة جان دي برين على مصر 1218-1221م/615-618هـ، دار المعارف، الإسكندرية، 1405هـ/1985م.

63. (-،-)، المغول والأوربيون والصليبيون وقضية القدس، دار المعرفة الجامعية، 2003م.

64. (-،-)، المغول وأوربا، دار المعرفة الجامعية، (د.ت).

65. (-،-)، تاريخ الحروب الصليبية 1096-1291م، دار المعرفة الجامعية، (د.ت).

66. محمود عبد الرؤوف قاسم، الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ، دار الصحابة، ط1، لبنان، 1408هـ/1987م.

67. محي الدين ابن عربي، فصوص الحكم شرح الشيخ عبد الرزاق القاشاني، آفاق للنشر، ط1، القاهرة، 2016م.

68. مصطفى حلمي، ابن تيمية والتصوف، دار ابن الجوزي، ط1، مصر، 2005م.

69. معتوق جمال، بن فرحات فتيحة، بحوث في التغيير الاجتماعي ظاهرة التصوف الإسلامي فهم التجربة الصوفية، دار الكتاب الحديث، ط1، القاهرة، 2013م.

70. ناجي حسين جودة، التصوف عند فلاسفة المغرب ابن خلدون نموذج، دار الهادي، ط1، بغداد، 1427هـ/2006م.

71. ناصر عبد الكريم العقل، الفرق الكلامية المشبهة، الأشاعرة، الماتريدية، نشأتها وأصولها وأشهر رجالها ومواقف السلف منها، دار الوطن، ط1، الرياض، 1422هـ/2001م.

72. هشام العلوي، مدارات الصوفية، دار النهج، ط1، دمشق، 1997م.

73. أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط3، القاهرة، (د.ت).

74. ولتر ستيس، تعاليم الصوفيين بين الشرق والغرب، تح: نبيل باسيليوس، آفاق للنشر والتوزيع، مصر، 2021م.

-خامسا: المراجع المعربة:

1. أمين معلوف، الحروب الصليبية كما رآها العرب، تر: عفيف دمشقية، دار الفارابي، ط1، لبنان، 1989م.

2. إرنست باركر، الحروب الصليبية، تر: السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، ط2، لبنان، (د.ت).

3. جورج لاين، عصر المغول، تر: تغريد الغضبان، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، ط1، أبوظبي، 1433هـ/2012م.

4. ماسينيون ومصطفى عبد الرازق، التصوف، تر: إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني، ط1، لبنان، 1984م.

5. رينولد.ا.نيكولسون، الصوفية في الإسلام، تر وتع: نور الدين شريبه، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1422هـ/2002م.

6. (-،-)، في التصوف الإسلامي وتاريخه، تر وتع: أبو العلا عفيفي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1366هـ/1947م.

سادسا: الدوريات:

-الرسائل الجامعية:

1. خميس بن علي بن سيف الرواحي، موقف العلماء المسلمين في العراق وبلاد الشام من الغزو المغولي (656-803هـ/1258-1401م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة آل البيت، العراق، 1432هـ/2011م.
2. رياض صالح علي حشيش، الحركة الصوفية في بلاد الشام خلال الحروب الصليبية (492-690هـ/1098-1291م)، رسالة ماجيستر، كلية الآداب، قسم التاريخ، الجامعة الإسلامية، غزة، 1426هـ/2005م.
3. محمد حمزة محمد صلاح، الكوارث الطبيعية في بلاد الشام ومصر (491-923هـ/1097-1517م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار، الجامعة الإسلامية، غزة، 1430هـ/2009م.
4. مزياني فتيحة، الحركة الصوفية وأثرها على المشرق الإسلامي خلال القرن (7هـ/13م)، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2009م.
5. يوسف الطيب، الحضور الاجتماعي والسياسي للطرق الصوفية في الجزائر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 1436هـ/2015م.

-المجلات:

1. دعاء عبد الرحمن علي محمد مصطفى، الكوارث الطبيعية وأثرها على ذهنيات العامة في إقليم ما وراء النهر في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، مجلة الدراسات التاريخية، ع22، (د.ت).
2. رائد محمد حامد، تأثير الفيضانات على سجون بغداد في العصر العباسي، مجلة كلية العلوم الإسلامية، مج7، ع13، 1434هـ/2013م.
3. ريهام المستادي، الدولة الخوارزمية ومواجهتها للزحف المغولي، دورية كان التاريخية، ع8، 2010م.

4. سعيد منصور مرعي القحطاني، إسهام الوقف في دعم الحركة العلمية في القرن السابع هجري، مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة، ع110، 2020م.
5. شوكت عارف، محمد أحلام عابد حسين، الدور السياسي والجهادي للصوفية في العصر الأيوبي (567–648هـ/1171–1250م)، مجلة جامعة زاخو فاكتولي للعلوم الإنسانية، ع1، 2015م.
6. صالح عبد الرحمن العذل، الكوارث الطبيعية، مجلة العلوم والتقنية، الإدارة العامة للتوعية العلمية والنشر، ع32، الرياض، 1415هـ/1995م.
7. عادل سالم وآخرون، إسلامية المعرفة، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ع97، 1440هـ/2019م.
8. عبد الرحمان تركي، موقف المستشرقين من التصوف الإسلامي (دراسة تحليلية نقدية في كتابات المستشرقين)، دراسات إستشراقية، جامعة الوادي، ع17، الجزائر، 2019م.
9. عبد الستار مطلك، تأثير الغزو المغولي على الحياة العلمية في بغداد 656هـ/1258م، مجلة مداب الآداب، ع5، (د.ت).
10. عفاف مصباح بلق، التصوف الإسلامي (مفهومه–نشأته وتطوره–مصادره)، مجلة كليات التربية–كلية الشريعة والقانون/العجيلات–جامعة الزاوية، ع14، 2019م.
11. كلوشي مصطفى، البعد السياسي للحركات الصوفية، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الدكتور يحي فارس المدية–الجزائر، (د.ع)، 2020م.
12. محمد يوسف الشوبكي، مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي، مجلة الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية، ع2، غزة، 2002م.
13. محمود يوسف الشوبكي، مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي، مجلة الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية، مج10، ع2، غزة، 2002م.
14. وسيلة فراج، الهجرة في المشرق الإسلامي زمن الحروب الصليبية، مجلة الباحث، المدرسة العليا للأساتذة الشيخ مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري، مج13، ع2، الجزائر، 2022م.

قائمة المصادر والمراجع:

-المعاجم:

1. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، القاهرة، مج1، 1429هـ/2008م.
2. أبي حسن أحمد بن فارس بن زكريا (...-395هـ)، معجم مقاييس اللغة، ج3، تح وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د.ت).
3. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/1348م)، سير أعلام النبلاء، ج 14، ج21، ج22، تح: شعيب الأرنؤوط ومأمون الصاغرجي، مؤسسة الرسالة، ط11، بيروت، 1417هـ/1996م.
4. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت1396هـ)، الأعلام، ج1، دار العلم للملايين، ط15، 2002م.
5. عباس نور الدين، معجم المصطلحات الأخلاقية، مكتبة مؤمن قريش، ط1، بيروت، 2006م.
6. عبد الرزاق محمود، المعجم الصوفي، ج2، دار ماجد عسيري، ط1، جدة، 2004م.
7. الفراهيدي، أبي عبد الرحمان بن أحمد الفراهيدي (100-175هـ)، كتاب العين، ج2، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهلال، (د.ت).
8. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت817هـ/1415م)، القاموس المحيط، مرا: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، 1429هـ/2008م.
9. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج1، مطبعة الأميرية، ط2، مصر، 1909م.
10. قتيبة الشهابي، معجم ألقاب أرباب السلطان في الدول الإسلامية من العصر الراشدي حتى بدايات القرن العشرين، وزارة الثقافة السورية، دمشق، 1995م.
11. المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي المقدسي المعروف بالبشاري (ت 381هـ/991م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 1411هـ/1991م.
12. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الإفريقي المصري (ت 711هـ/1311م)، لسان العرب، ج7، دار صادر، ط9، بيروت، 1414هـ.

13. ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي البغدادي (ت 626هـ/1228م)، معجم البلدان، ج1، ج2، ج3، ج4، ج5، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م.

-الموسوعات:

1. رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة لبنان، ط1، بيروت، 1999م.
2. روجر أوف ويندوفر، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج39، تح وتر: سهيل زكار، دمشق، 1421هـ/2000م.
3. فراس السواح، موسوعة الأديان، تح: عبد الرزاق العلي ومحمود منفد الهاشمي، دار التكوين، 2018م.
4. ياسين عبد الرحيم، موسوعة العامية السورية، ج1، الهيئة العامة السورية للكتاب، ط2، دمشق، 2012م.
5. يحي الشامي، موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربي، ط1، بيروت، 1993م.

الملخص:

يعتبر التصوف ظاهرة أساسية ومهمة في التاريخ الإسلامي فهو يمثل حركة تاريخية واسعة ممتدة عبر الزمن، إذ أنه أخذ حيزا دينيا متميزا في الحضارة الإسلامية، حيث لقيت دراسته اهتماما كبيرا من طرف الباحثين والمؤرخين المسلمين والمستشرقين، فاجتمعوا على تصنيفه كتجربة روحية خالصة استهدفت توجيه الحياة الدينية وتأطير الحياة الاجتماعية للإنسان، لأنه يقوم بالتربية الأخلاقية، وقد عرف القرن (7هـ/13م) انتشارا واسعا للحركة الصوفية في المشرق الإسلامي، لتلعب دورا مهما في إصلاح وترميم المجتمع نتيجة الأوضاع المزرية التي شهدتها بلاد المشرق.

الكلمات المفتاحية:

التصوف، المشرق الإسلامي، القرن 7هجري/13ميلادي، الإصلاحات الاجتماعية.

Summary:

Sufism is a basic and important phenomenon in Islamic history, as it represents a broad historical movement extending through time, as it took a distinct religious space in the totality of Islamic civilization, where its study received great attention from Muslim researchers and historians and orientalists, so they gathered to classify it as a pure spiritual experience, It aimed at directing the religious life And framing the social life of the human being, it because it carries out moral education. The 7th century AH/13 AD witnessed a wide spread of the Sufi movement in the Islamic East, to play an important role in reforming and restoring society as a result of the miserable conditions in the countries of the East.

key words:

Sufism, the Islamic East, 7th/13th century AD, social reforms.